

الشيخ ندا أبو أحمد





الكتاب الجامع للفضائل (59)

فضل التوكل على الله

الشيخ/ندا أبو أحمد



فضل التوكل على الله

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد الله ُفلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُـواْ اللّـهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُـوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (آل عمران: 102)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَا زَوْجَهَـا وَبَثَّ مِنْهُمَـا رِجَـالاً كَثِـيرًا وَنِسَـاء وَاتَّقُـواْ اللّـهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء: 1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُـوا قَـوْلًا سَـدِيدًا (70) يُصْـلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَن يُطِـعْ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (الأحزاب: 70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ــ تعالى ــ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل التوكل على الله تعالى

الله سبحانه وتعالى نعم الوكيل:

حقيقة التوكل:

مقامات التوكل:

1- التوكل في مقام العبادة.
2- التوكل في مقام الدعوة.
3- التوكل في مقام الحكم والقضاء.
4- التوكل في مقام الجهاد وقتال الأعداء.
5- التوكل في مقام المشورة.
6- التوكل في مقام العهود و المواثيق.
7- التوكل في مقام إبرام عقود البيع والإجارة والزواج.
8- التوكل في مقام الهجرة في سبيل الله.
9- التوكل في مقام طلب الرزق.

أنواع التوكل:

بين التوكل والتواكل:

الأخذ بالأسباب لا يقدح في التوكل:

مراتب تحقيق التوكل:

التوكل على الله هو سبيل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين:

فضل التوكل على الله تعالى:

1- التوكل على الله نصف الدين.
2- التوكل على الله سبب للهداية والكفاية والوقاية من الله تعالى.
3- التوكل على الله من شعب الإيمان وهو من أعظم سمات وخصائص المؤمنين.
4- التوكل على الله سبب لكفاية الله لعبده من كل همٍّ وسوء.
5- التوكل على الله سبب للفوز بمحبته.
6- التوكل من أعلى مقامات الإيمان وأفضلها.
7- التوكل على الله تعالى يثمر الرضا بالقضاء والقدر.
8- التوكل يقي من كيد الشيطان.
9- التوكل على الله يذهب التشاؤم.
10- التوكل على الله طريق الغنى وسعة الرزق.
11- التوكل على الله سبيل النصر على الأعداء.
12- التوكل على الله سبيل لدخول الجنة.

إن التوكل على الله عز وجل مطلوب في كل شـؤون الحيـاة بيـد أن هنـاك مواطن كثيرة ورد فيها الحض على التوكل؛ ومنها: (تذكر في ثنايا الرسالة)

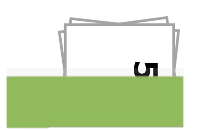
من فوائد التوكل:

النبي وحسن التوكل على الله:

النبي ودعائه بالتوكل على الله:

النبي يعلم أمته حسن التوكل على الله

السلف الصالح وحسن التوكل على الله:







فضل التوكل على الله تعالى

مقدمة:

التوكل ثمرة اليقين ونتيجته، ولذلك قرن الله بينهما في قوله:﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ **(النمل:79)**

فالحق المقصود به في هذه الآية هو اليقين، وكان طلق بن حبيب -رحمه الله- يقول:" اللهم إني أسألك توكل الموقنين بك، ويقين المتوكلين عليك ". **(المدهش ص: 196)**

وقبل الحديث عن فضائل التوكل لنا وقفة مع حقيقة التوكل:

التوكل على الله عمل قلبي، وهو من أفضل الأعمال القلبية بعد الإيمان واليقين، فلا يقوم الدين إلا على أساس التوكل، وهو شعبة من شعب الإيمان، وأصل التوكل هو علم العبد أن الله تعالى كافل الأرزاق، ومدبر الأمور بحكمته، وهو على كل شيء قدير، فيثق في تدبير ربه ويركن إليه وحده، وعلى قدر يقين العبد بهذا، على قدر توكله عليه[1].

قال ابن قدامة -رحمه الله- في" كتابه مختصر منهاج القاصدين":" اعلم أن التوكل مأخوذ من الوكالة، يقال: وكل فلان أمره إلى فلان، أي فوض أمره إليه، واعتمد فيه عليه ".

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء، منها: الشفقة، والقوة، والهداية، فإذا عرفت هذا، فقس عليه التوكل على الله سبحانه وتعالى، وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه. اهـ

فالتوكل:" هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المصالح، ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه ". اهـ **(جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: 409)**

وقال الجرجاني-رحمه الله-:" التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس ". اهـ **(التعريفات ص: 74)**

---

[1]- التوكل على الله يجمع بين علم القلب وعمل القلب, أما بالنسبة لعلم القلب وذلك بعد أن يعلم أن الله تعالى مقدر الأشياء ومدبر الكون, أما عمل القلب فهو سكون القلب للخالق والاعتماد عليه والثقة به, فهذان أمران مهمان في التوكل.



ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري-رحمه الله- في" كتابه عقيدة المؤمن":" التوكل هو الاستسلام لله تعالى وتفويض الأمر إليه، اعتمادًا ووثوقًا به، أمر الله تعالى به في غير آية من كتابه، وجعله آية الإيمان وعلامته، **فقال تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الأحزاب:33)

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: 23)، **ووعد بالكفاية للمتوكلين عليه في قوله:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:3)، **وخص التوكل به فقال تعالى:** ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:12)، فالتوكل إذا عبادة قلبية، وهو سكون القلب إلى كفاية الله تعالى، وتفويض الأمور إلى الله تعالى لكفايته، والاعتماد عليه تعالى لعلمه وقدرته ". اهـ

- **والتوكل على الله واجب من أعظم الواجبات:**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي:7/16":" فإن التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الإخلاص لله واجب، وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء وغسل الجنابة، ونهى عن التوكل على غيره سبحانه ". اهـ

وقال الشيخ ابن العثيمين-رحمه الله-:" التوكل هو صدق الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله تعالى بها، وهذا تعريف جيد جامع ". اهـ

قال ابن القيم -رحمه الله-:" التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا يتم إلا بها، **أولها:** معرفة بالرب وصفاته من العلم والقدرة والقيومية. **الثاني:** الأخذ بالأسباب، فإن الله ﷻ جعل لكل شيء سببًا. **الثالث:** رسوخ القلب في مقام التوحيد، فلا يلتفت إلى غير الله ﷻ. **الرابع:** اعتماد القلب على الله، فلا يتعلق بالأسباب، ولكن يعتمد على مدبر الأمر ومسبب الأسباب. **الخامس:** أن يحسن العبد ظنه بربه ومولاه، فيعتقد أن تدبير الله ﷻ له خير من تدبيره لنفسه. **السادس:** أن يستسلم لهذا التدبير. **السابع:** أن يفوض الأمور كلها لله عز وجل. **الثامن:** أن يرضى بقضاء الله ﷻ.

والاستخارة نوع من أنواع التوكل: وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، لما في صلاة الاستخارة ودعائها من تدريب وتعويد على التوكل على الله، فالمستخير يعلن عن عجزه عن اختيار ما ينفعه فيلجأ إلى ربه يطلب منه سبحانه بما لديه من علم تام وقدرة بالغة أن يختار له ما ينفعه وما يصلحه ثم يثق في اختيار الله ﷻ له، ويرضى بما قدره الله عز وجل له.







وهذا معنى قول النبي في دعاء الإستخارة:" **اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعِلْمِكَ وأستقدِرُكَ بقدرتِكَ وأسألُكَ مِن فضلِكَ العظيم** ". فهذا توكل وتفويض،" **فإنَّكَ تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ، وأنتَ علَّامُ الغُيوبِ"،** فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسل إلى الله سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل به المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلًا أو آجلًا وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلًا أو آجلًا، فهذه حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه الله عز وجل له،" **واقدرْ ليَ الخيرَ حيثُ كانَ ثمَّ رضِّني بهِ ". (مدارج السالكين:2/128)**

وغالب أدعية النبي ترشد العبد إلى صدق اللجوء إلى الله والاعتماد عليه في حوائج الدنيا والآخرة، والتبرؤ من حوله وقوته وعلمه وقدرته إلى حول الله تعالى وقوته وعلمه وقدرته وطلب الخير حيث كان والرضى بقضاء الله عز وجل. فمن ذلك: **ما أخرجه النسائي من حديث عمار بن ياسر قال: كان رسول الله يدعو بهذا الدعاء:" اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْق، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعْ[1]، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعَدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ". (صحيح النسائي: 1305)**

الله سبحانه وتعالى نعم الوكيل:

والوكيل من أسمائه الحسنى، وهو الذي يتوكل عليه المؤمنون، فيفوضون الأمور كلها إليه ليأتي بالخير، ويدفع الشر، ولهذا فإن من الشرك بالله أن يتخذ الإنسان وكيلا من دون الله عز وجل، وقد جاءت آيات القرآن لتحذر من ذلك أشد تحذير، قال تعالى: **﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ (الإسراء:2)**

1- "وقُـرَّةَ عينٍ لا تَنقطِعُ"، وقُـرَّةُ العينِ قيـل: معناهـا بَرْدُهـا، وانقطـاعُ بُكائِهـا واستِجْرارِها بالدَّمعِ؛ فإنَّ للسُّرورِ دَمعةً باردةً، وللحُزنِ دَمعةً حارَّةً، وقيل: هو مِن القرارِ: أي: رأَتْ ما كانت مُتشوِّفةً إليه، فقَرَّت ونامَت، وقيل: أقَرَّ اللهُ عينَك: أي: بلَّغَك أُمنيَّتَك حتَّى تَرضى نفسُك، وتَسكُنَ عَينُك، فلا تَستشرِفَ إلى غيرِه. وقيل: أقرَّ اللهُ عينَك: أي: صادَفْتَ ما يُرضيك، فتقَرُّ عينُك عن النَّظرِ إلى غيرِه. والمعنى: أن تَقَرَّ عينُه بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، والأُنسِ بذِكْرِه، وقيل: أن تَقَرَّ عينُه برُؤيةِ ذُرِّيَّتِه مُطيعين للهِ تعالى.

وقد نفي المولى تبارك وتعالى هذا عن غيره حتى عن رسول الله ، فقال: **إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (الزمر:41)**

فالوكيل المفوض في كل الأمور هو الله ، ولهذا أمر عباده بالتوكل عليه، **فقال تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (الأحزاب: 3)،. وقال تعالى: وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (سورة المزمل:8)**

وقال تعالى: رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (سورة المزمل:9)

والله سبحانه وتعالى حي قيوم لا يغفل عن التصريف والتدبير، وهو سبحانه وتعالى عزيز لا يغلب، فلا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه، حكيم يضع كل شيء في نصابه ولا يقصر عن تدبير أمر من توكل على تدبيره، رحيم أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها، فلا يدبر إلا ما يصلحه في الدنيا والآخرة، ولهذا جاءت آيات التوكل مقرونة بهذه الصفات وأمثالها.
قال تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ [1] وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (الفرقان: 58)
وقال تعالى: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (سورة الأنفال:49)
وقال تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (سورة الشعراء: 217)

والله سبحانه نعم الوكيل، فمن توكل على الله كفاه ما يهمه:
قال تعالى: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (الطلاق:3)
وأخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَهَا إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قالوا: إنَّ

---

[1]- كيف يلجأ أحد إلى غير الله بعد سماعه هذه الآية، فالكل سيموت غير ذي العزة والجبروت، فهو الذي يستحق وحده أن تتوكل عليه، وقد أمرك بالتسبيح بحمده في هذه الآية لأمرين: الأمر الأول: أن التسبيح هو تنزيه الله عن كل نقص وعيب، ووصفه بصفات الجلال، والكمال، والجمال، فيمتلئ قلب العبد بالمهابة والتعظيم، ويعرف على من سيتوكل.
الأمر الثاني: أن التسبيح ذكر، وكما هو معلوم أن ذكر الله سبب لمعية الله تعالى، وهو القائل في الحديث القدسي:" وأنا معه إذا ذكرني "، ومعية الله عون وإعانة ودعم وإمداد، لذا فقوة المتوكلين وعزتهم مستمدة من الحي الذي لا يموت.



النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (آل عمران: 173)

قال ابن الأثير -رحمه الله-: من أسماء الله تعالى" الوكيل" وهو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه. **(النهاية: 5/221)**

وقال الشنقيطي-رحمه الله- في أضواء البيان:" المعاني كلها متقاربة ومرجعها إلى شيء واحد هو أن الوكيل: من يُتَوكل عليه، فتفوض الأمور إليه، ليأتي بالخير ويدفع الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده جل وعلا، ولهذا حذر من اتخاذ وكيل دونه لأنه لا نافع ولا ضار ولا كافي إلا هو وحده جل وعلا، عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ". **(أضواء البيان: 3/367)**

حقيقة التوكل:

قال الزبيدي في" تاج العروس":" الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس، فالتوكل على الله اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، مع كامل اليقين أن تعلم أن الله هو الرزاق الخالق المحيى المميت المعطي المانع لا إله غيره ولا رب سواه ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" والتوكل يتناول التوكل على الله، ليعينه الله على فعل ما أمره به، والتوكل على الله ليعطيه ما لا يقدر عليه، فالاستعانة تكون على الأعمال، والتوكل أعم من ذلك فالتوكل لجلب منفعة، ولدفع مضرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (التوبة:59)

فحقيقة التوكل: عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود:123)

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود:88) (سورة الشورى:10)

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد:30)

وقال تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمل:9)

فالتوكل يكون في جلب المنافع ودفع المضار حتى لو كانت أشياء دنيوية، فالتوكل أعم من الاستعانة.

وقد جمع الله بين الأصلين في غير موضع؛ **كقوله تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة:5)

فالعبادة له والاستعانة به والتوكل عليه وحده لا شريك له، فالله ﷻ إذا توكل عليه العبد يكفيه وهو حسب من توكل عليه، والحسب هو الكافي، يمنع الشر عنك، يكفيك ما أهمك، يكفيك عدوك.

لما قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال:64)

بعض الناس يظنون أن المعنى: حسبك الله. والمؤمنون حسبك أيضًا، يعني يكفونك مع الله، هذا خطأ بل حسبك الله وحسب من اتبعك، يكفيك ويكفيهم، حسبك وحسبهم كلكم، أنت وهم، ولا يجوز حمل الآية على المعنى الأول فهو خلاف الصحيح الراجح.

ولذلك جاء في الآية الأخرى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾(الأنفال:62)

والمعنى هنا يمكن أن يقال: حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، فالمؤمنون يؤيدونك وينصرونك.

فهناك فرق بين الحسب والتأييد، فهل المؤمن يكفي، أي يكون حسبا؟ لا. لكن يكون ناصرًا ومؤيدًا؟ نعم. أيدك بالمؤمنين: أي يؤيدونك وينصرونك. وهذه لا إشكال فيها، ولا تُضادُّ التوحيد.

ولكن إذا قلت يكفونك، من ذا يقدر على الكفاية؟ من الذي يستطيع أن يكون حسبًا يكفي غيره كل شر من الشرور؟ لا يقدر على هذا إلا الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم -رحمه الله- في معنى قوله تعالى: ﴿**حَسْبَكَ اللَّهُ**﴾ أي: كافيك، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى ". **(انظر بدائع الفوائد:2/465)**

لكن ما معنى قوله تعالى: ﴿**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**﴾ **(سورة آل عمران:111)**

أي مثل أذى الحر والبرد والجوع والعطش، أما أن يضره العدو بما يبلغ به مراده – يعني الشيء الذي يريده العدو يحدث فيه- فلا يعني: إذا توكلت على الله لن يضروك إلا أذى، أي الشيء الذي لا بد منه ولكن ليس على ما يشتهي ويريد العدو. يعني أثر خفيف، مثل ما يحدث لك من الحر والبرد والجوع والعطش، لكن لا يستطيعون أن يبلغوا ما يريدونه ويتمنونه إذا توكلت على الله.

مقامات التوكل:

1- التوكل في مقام العبادة:

قال تعالى: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ **(هود:123).** فأمر الله رسوله ﷺ والمؤمنين وأمر الخلق بالعبادة والتوكل، **فقال تعالى:** ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ **(سورة الأحزاب:2)**

وقال عز وجل: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ **(سورة الأحزاب:3)**

توكل على الله في جميع أمورك وأحوالك فهذا توجيه للنبي ﷺ ليتوكل على الله ويتقيه ويعبده ويتبع ما يُوحى إليه من ربه، فهو أمر له ولأمته من بعده إلى يوم القيامة.

2- التوكل في مقام الدعوة:

فالأول كان في مقام العبادة، والثاني في مقام الدعوة، فجاء الخطاب لرسول الله والأصل أن الخطاب له خطاب لأمته إلا إذا دل الدليل على تخصيصه به، **فقال عز وجل:** **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** **(التوبة:129)**. فهو الذي تنتهي إليه القوة والملك والعظمة والجاه سبحانه وتعالى، وهو حسب من لاذ به، ويكفي من استجار به ويدفع عنه الشر عز وجل ويحميه ويحوطه.

ونوح -عليه السلام- أيضًا في مقام الدعوة قال: **يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ** **(يونس:71)**
فهذه الدعوة من نوح -عليه السلام- والإنذار الطويل، والتذكير المستمر، الذي رافقه وقابله من قومه تكذيب وإعراض بعدما كان التذكير والإنذار منه، ماذا فعل نوح -عليه السلام-؟ توكل على الله وفوض الأمر إليه سبحانه وتعالى بعدما بلغ الضيق منه كل مبلغ وهو ماض في الدعوة. **وهو يقول:** **يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ** **(يونس:71)**. إذًا الداعية إلى الله إذا جوبه بالإعراض من المدعوين والصد والرد وعدم الاستجابة، فإنه يتوكل على الله، والله يكفيه شر هؤلاء المعرضين. ويوسع صدره الذي ضيقوه بإعراضهم.

3- التوكل في مقام الحكم والقضاء:
قال تعالى: **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** **(الشورى:10)**
فالرسول أمره كله إلى الله، أناب إلى ربه وتوكل عليه وفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى كيف يتحاكم الناس لغير الله إذا اختلفوا في شيء من الأمر، وهذا النبي الذي أرسله يُترَك ولا يُتَحَاكم إليه وهو أولى أن يُتَحَاكم إليه، ليقول قول الفصل فيما اختلفوا فيه، وكيف يتوجهون في أمر من الأمور إلى جهات أخرى والنبي موجود يقضي؟! فما دام القاضي والحاكم على الحق المبين، فلا يبال بما يعوقه وبمن يرد حكمه ويرفض التحاكم إلى الشريعة التي يقضي بها، فإذًا الحاكم والقاضي عليه أن يتوكل على الله.

4- التوكل في مقام الجهاد وقتال الأعداء:
قال تعالى: **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**(**سورة آل عمران:121**)

وقال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة آل عمران:122)
فمع أنه يعُد العدة، ويجهز الجيش، ويعيّن الأماكن، ويرتب الجيش، أي يأخذ بالأسباب، ومع ذلك أمر بالتوكل، لأن النصر بيد الله، **فقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران:160)**. ولو كنتم في حال كثرة وقوة أيضًا فيجب عليكم أن تتوكلوا، فإنكم إذا لم تتوكلوا على الله فلن تنفعكم الكثرة، **قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة:25)**. ولو كانوا في معركة وأرخى لهم العدو جناح الذل وريش الوداعة، وظن المؤمنون أن المعركة قد انتهت فلابد أن يبقى الارتباط والتوكل على الله، حتى ولو قال العدو: نريد السلم وخنعوا وذلوا، **قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال:61)**
التوكل لا ينقطع مع أن المعركة انتهت، والحرب وضعت أوزارها، وخنع الأعداء للسلم وذلوا واستسلموا، وفي الحديبية كان الرسول ﷺ قادرًا على مواصلة الجهاد والقتال وقادرًا على مواصلة الطريق على القتال، بل كان مستعدا لاقتحام مكة، وقال: **"بايعوني على الموت[1]"**، ولكن جنح للسلم، لما جنحوا لها لعل أن تكون فرصة الدعوة مواتية في حال الأمن، ولذلك فقد دخل في الإسلام بعد الحديبية أضعاف أضعاف من دخل قبله وفي سنوات أقل. إذًا لو خنعوا وطلبوا السلم، والحرب الآن توقفت، فتوكل على الله، وإن أرادوا خداعكم فإن الله حسبك ولابد من استمرار التوكل على الله حتى في حال الغلبة والانتصار عليهم، وفي قصة موسى عليه السلام، **قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة:22)**
وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:23)

5- التوكل في مقام المشورة:

---
[1]- إشارة إلى ما رواه البخاري (2734) كتاب الشروط- باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب, ومسلم (1807) كتاب الجهاد والسير, باب غزوة ذي قرد وغيرها.

قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** **(آل عمران:159)**

فأخذ المشورة من باب الأخذ بالأسباب، فآراء الناس أسباب تعين على الاهتداء إلى الصواب واتخاذ القرار الصحيح، ولكن لا ينفك المؤمن في هذه الحالة حتى لو كان عنده كبار المستشارين عن التوكل على الله. ولذلك فبعض هؤلاء يغترون ويظنون أن وجود آراء المستشارين يغني عن التوكل وأنه عنده الخبراء الكبار وعنده المستشارون العظماء، ونقول: يمكن أن يضل هؤلاء كلهم ويأمروا بقرارات خاطئة، وقد يشيرون بأمرٍ صائب ويخطئون في تنفيذه، إذًا لابد من التوكل على الله حتى مع أخذ الآراء.

6- التوكل في مقام العهود و المواثيق:

وقد أخبر الله عن يعقوب-عليه السلام- أنه توكل على الله عندما قال له أولاده: **﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾** **فقال لهم:** **﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾** **(يوسف:66)** والموثق: هو العهود والأيمان المغلظة، **ثم قال لهم:** **﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾** **(يوسف:67)**

7- التوكل في مقام إبرام عقود البيع والإجارة والزواج: موسى -عليه السلام – لما اتفق مع الرجل الصالح على أن يزوجه ابنته على أن يأجره ثماني حجج -أي يكون أجيرًا عنده في رعي الغنم-، وإذا أتم عشرًا فهذا حسن وليس بواجب: **﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** **(سورة القصص:27)**

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ **(سورة القصص:28)**

وقد قضى موسى العشر وأتمها وأكملها كما جاء في الحديث:" إن نبي الله إذا قال فعل". فالأليق بالنبي هو الأكمل.

8- التوكل في مقام الهجرة في سبيل الله:

وهو مقام عظيم وأليم على النفس أن يترك الإنسان مأواه وداره وأمواله ويتغرب ويضحي بعشيرته وبالذكريات الحبيبة، ولكن يهون عليه التوكل على الله، قال تعالى: **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** **(النحل:41)**

فهذه جاءت بعد الهجرة وما الذي يهون الهجرة وألم الفرقة للأهل والعشيرة والوطن في سبيل الله؟ إنه التوكل على الله. مهاجرة الحبشة الذين اشتد عليهم الأذى هاجروا هجرتين مشهورتين. والنبي والصحابة أيضًا هاجروا، وفي طريق الهجرة حصل ابتلاء وخوف.

قال تعالى: **إِلَّا تَنصُرُوهُ ... إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** **(التوبة:40)**

9- التوكل في مقام طلب الرزق:

قال تعالى: **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** **(الشورى: 36)**

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية:" هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، وذكر الأعمال الموصلة إليها فقال: **فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ** من ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية. **فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** لذة منغصة منقطعة. **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ** من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم **خَيْرٌ** من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما **وَأَبْقَى** لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا انتقال. ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال: **لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** أي: جمعوا بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة والباطنة، وبين التوكل الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام، وهو الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، ودفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى ". اهـ

وقال تعالى: **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** **(الطلاق:3)**

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:" ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله.

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك **فَهُوَ حَسْبُهُ** أي:



كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه ". اهـ

أنواع التوكل:

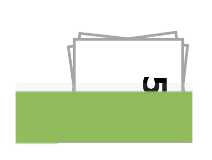
والتوكل نوعان؛ كما قال ابن القيم -رحمه الله- تعالى -في كتابه الفوائد ص86: النوع الأول: التوكل على الله في جلب الحوائج والحظوظ الدنيوية أو دفعها. **النوع الثاني:** التوكل على الله في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه. وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية، وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم ". اهـ

بين التوكل والتواكل:

إن الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله تعالى والثقة بأنه عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملا، هو من التوكل المأمور به، أما القعود عن الأسباب وعدم السعي فليس من التوكل في شيء وإنما هو اتكال أو تواكل حذرنا منه رسول الله ﷺ، ونهى عن الأسباب المؤدية إليه.

ودليل ذلك ما جاء في البخاري من حديث مُعَاذٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ:" يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟"، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:" فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ:" لَا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا ".

وهنا يضع الرسول ﷺ قاعدة جليلة، هي أن كل ما يؤدي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنة للاتكال أو التواكل ليس من التوكل في شيءٍ. **(نضرة النعيم: 4/1378)**






وأخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون [من الطعام في السفر]، ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس فأنزل الله: فيهم هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: 197)".

ومعناها: وتزودوا، واتقوا الاستطعام وإبرام الناس[1] والتشغيل عليهم، واعلموا أن خير الزاد التقوى. ﴿**وَاتَّقُونِ**﴾ أي: خافوا عقابي، ﴿**يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾: يعني أن قضية اللب هي تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له ". اهـ.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب" التوكل" عن معاوية بن قرَّة أن عمر بن الخطاب ﷺ لقى ناسًا من أهل اليمن فقال:" من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال:" بل أنتم المتكِلُونَ، إنما المتوكل من يلقي حَبَّهُ في الأرض ويتوكل على الله عز وجل".

وعن المعرور بن سويد قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ:" يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم، ما أوضح الطريق، فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا كلًّا على المسلمين ". (الجامع لشعب الإيمان: 2/136)

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:105)
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ (سورة النساء:71)
وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:60)
وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (سورة الملك:15)
وقال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين:26)
وقال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات:61)
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾(الإسراء: 19)
وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: 197)

[1]- إبرام الناس: أي إملالهم وإضجارهم.

وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ **(آل عمران: 59)**

فالتواكل: هو ترك الأسباب، ومن ترك التوكل طعن في التوحيد، وترك الأسباب نقص في العقل.

والأسباب ولو كانت يسيرة وضعيفة، يبذلها العبد، والله سبحانه وتعالى يبارك فيها ويجعل فيها أثرًا، والله علمنا ذلك من قصة مريم.

فتخيل حال امرأة ضعيفة فهي في أقوى حالتها أضعف من الرجل، في حال النفاس أضعف ما تكون المرأة، والنخلة شجرة قوية جذعها قوي **ولكن الله قال:** ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ **(سورة مريم:25)**

ولكن بالسبب الضعيف جعل النتيجة، كان من الممكن أن يسقط الثمر بلا هز، وماذا يغني الهز من امرأة ضعيفة على شجرة قوية؟ ولكن ليُعلم العباد الأخذ بما أمكنَ من الأسباب. فهذا مبدأ مهم جدا في قضية التوكل، وهو الأخذ بما أمكن من الأسباب المشروعة.

وصدق القائل حيث قال:

توكلْ على الرحمن في كل حاجة ولا تؤثرنّ العجز يومًا على الطلَبِ
ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليكِ الجذع يساقط الرُّطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنَتْهُ ولكن كل شيء له سبب

والنبي ﷺ ظاهر بين درعين[1] **ولبس لَأْمته ووضع المغفر على رأسه**[2]. ففعله من باب الأخذ بالأسباب. وكذلك في طريق الهجرة فقد أخذ دليلًا تعمية للأثر، وخرج في وقت يغفل فيه الناس، ومن طريق غير متوقع كل هذا أخذًا بالأسباب[3] مع أنه هو النبي ﷺ والله كافيه، **كما قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ **(الانفال:64) وقال تعالى:** ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ **(المائدة:67)**. ولكن الله علمنا في الهجرة الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله، وعدم الركون إلى الأسباب.

---

1 - كما جاء في رواية أبي داود من حديث السائب بن يزيد (كتاب الجهاد- باب لبس الدروع-)
2 - كما جاء في رواية البخاري (كتاب اللباس- باب التقنع-)
3 - (المصدر السابق)

فكان ﷺ يعدُّ لكل أمر عُدَّته، ويرسم له خطته، كما حدث في رحلة الهجـرة، فقد أعد الرواحل والدليل، واختار الرفيق، وحدد مكان الاختفاء إلى أن يهـدأ الطلب، وأحـاط ذلـك كلـه بسـياج من الكتمـان، وكـذلك كـانت سـيرته في غزواته كلها، وعليه رَبَّى أصـحابه الكـرام فكـانوا يلقـون عـدوهم متحصـنين بـأنواع السـلاح، ودخـل النـبي ﷺ مكـة والبيضـة على رأسـه، **مـع أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْـدِي الْقَوْمَ الْكَـافِرِينَ﴾ (المائـدة:67)** وكـان إذا سـافر في جهـاد، أو حج أو عمرة حمل الزاد.

وقـد بين النـبي ﷺ في أكـثر من حـديث أن الأخـذ بالأسـباب لا ينافي التوكل، ومن أمثلة ذلك:

ما أخرجه ابن حبان من حديث عمرو بن أمية ﷺ قال: قـال رجُـلٌ لِلنَّبيِّ ﷺ: أُرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ؟ قال:

" اعقِلْها وتوكَّلْ ". (صحيح ابن حبان: 731)

وأخــرج الإمــام أحمــد والترمــذي وابن ماجــه عن عمــر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لـو أنكم تتوكلـون على اللـه حقَّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدو خماصًا وتـروح بطانًـا ". (صحيح الجامع: 5254) (الصحيحة: 310)

وندد عمـر بن الخطـاب ﷺ بالكسـالى القاعـدين عن طلب الـرزق فقــال:" لا يقعــدن أحــدكم عن طلب الــرزق، ويقــول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا، ولا فضـة، وأن اللـه تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُـوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الجمعة:10)

قال أحدهم:

قالوا جُدودٌ واقسامٌ فقلت لهم   بلى ولكـــن علينا السعي والطلـــبُ
وللمطـــالبِ أسبـــــابٌ مقـــدَّرةٌ   وبعضُ سعيك في مطلوبك السببُ

قال ابن رجب -رحمه الله- في كتابه" جامع العلـوم والحكم ص: 409":" واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السـعي في الأسـباب الـتي قـدر الله سبحانه وتعالى المقدرات بها، وجرت سنته في خلقه بـذلك، فـإن اللـه تعـالى أمـر بتعـاطي الأسـباب مـع أمـره بالتوكـل، فالسـعي في الأسـباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به ". اهـ

الأخذ بالأسباب لا يقدح في التوكل:

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:" التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل. ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب. وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها. فالأسباب محل حكمة الله وأمره ونهيه. والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية ". اهـ **(مدارج السالكين:2/125)**

وقال أيضًا في موضع آخر:" سر التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله ".

قال سهل بن عبد الله التستري-رحمه الله-:" من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:10/ 195)**

وقد قيل قديمًا:" عدم الأخذ بالأسباب طعن في التشريع، والالتفات إلى الأسباب طعن في التوحيد ".

مراتب تحقيق التوكل:

والتوكل على الله لابد من تحقيق مراتب فيه:

1- معرفة الرب وصفاته، من قدرته وكفايته وقيوميته، يعني أنت تتوكل على الله وتعتمد عليه، يجب أن تكون مؤمنًا بقوة الله وقدرته وأن الله يكفيك، فالذين يعطلون أسماء الله وصفاته ويلحدون فيها سيخلون بهذه المرتبة.

2- إثبات الأسباب والمسببات وأنها لا تستقل بنفسها في التأثير ومن جحد الأسباب، وقال: كل سبب معطل فذا غبي مجنون، فهناك أسباب يجب أن تأخذ بها، فأنت تنكح ليأتيك الولد، وتبذر ليخرج الزرع وهكذا.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه ابن حبان من حديث عمرو بن أمية قال: قال رجلٌ لِلنَّبيِّ : أُرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ؟ قال:" اعقِلْها وتوكَّلْ ". (صحيح ابن حبان: 731)

وأخرجه الترمذي من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ:" اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ". (صحيح الجامع: 1068)

وفي هذا الحديثِ أنَّ رجُلًا سَألَ النبيَّ مُستَفْهِمًا أيُّ الفِعلَينِ يُوافِقُ التَّوكُّلَ؛ هل هو رَبْطُ النَّاقةِ في مَكانٍ، أو تَرْكُها على حالِها ثُمَّ السَّعْيُ والذَّهابُ لأحوالِه؟ فقال له النبيُّ :" **اعقِلْها وتَوكَّلْ**"، أي: ارْبِطْ تلك النَّاقةَ في المَكانِ الذي تَرَكْتَها فيه حتى لا تَذْهَبَ وتَضِلَّ، ثُمَّ تَوكَّلْ على اللهِ سبحانه وتعالى واسْعَ في حاجتِك، وقيلَ: اعقِلْها، أيْ: شُدَّ رُكْبةَ ناقتِك مع ذِراعَيْها بحَبْلٍ.

وفي الحديثِ: بَيانُ أنَّ الأخْذَ بالأَسبابِ لا يُنافي التَّوكُّلَ؛ لأنَّ التَّوكُّلَ يَخُصُّ القَلْبَ، والتَّعرُّضَ بالأسبابِ أفعالٌ تَخُصُّ البَدَنَ، فلا تَنافُضَ.

وأحيانا لا يجد الرجل إلا الدعاء، ونِعْمَ السبب، والله عز وجل علم عباده الأخذ بالأسباب **فقال:**

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(سورة الملك:15)

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:10)

فالذي يقول: لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي، جاهل بشرع الله وجاهل بقدر الله، **فالله قال في سورة المزمل: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل:20)**، يضربون: أي يسافرون ويذهبون ويتاجرون.

وكان أصحاب النبي ﷺ يتاجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم.

وكان السبب في الأمر بغُسل الجمعة، لأنهم كانوا عمال أنفسهم، يعملون في الحر، والعرق يرشح على ملابس الصوف فيكون لها رائحة كريهة في المسجد، فقيل لهم:**" لو اغتسلتم".** كما في البخاري.

ولما سئل الإمام أحمد-رحمه الله-عن هؤلاء الذين يزعمون أنهم متوكلة، ويقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل، قال: هذا ردئ، أليس الله تعالى قال: **﴿فاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:10)**

وقال صالح بن أحمد بن حنبل:" سُئل أبي عن قوم لا يعملون ويقولون: نحن المتوكلون فقال: هؤلاء مبتدعون ".

3- ومن المقامات التي يجب تحقيقها أيضًا رسوخ القدم في طريق التوحيد، فالعبد إذا حقق التوحيد كان له من التوكل النصيب العظيم:

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: 129) توحيد وتوكل بعده

4- الاعتماد على الله في كل الأمور بحيث يفوض إليه سائر أموره.

5- أن يحسن الظن بالله عز وجل وتفويض الأمور إلى الله عز وجل كلها ويكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده، لا يضطرب قلبه ولا يبالي بإقبال الدنيا وإدبارها، لأن اعتماده على الله، فحاله في هذه الحالة كحال إنسان أعطاه ملك درهمًا فسرق منه، فقال الملك: عندي أضعافه فلا تهتم، متى جئت أعطيتك أضعافه من خزائني، فمن يعلم أن الله ملك الملوك وخزائنه ملأى فلا يقلق، إذا فات شيء، فإن الله هو الغني يعطيه الله بدلا منه.

وأما حسن الظن بالله فإن الله قال:" **أنا عند ظن عبدي بي".** **(رواه البخاري)** فحسن الظن يدعو إلى التوكل على الله، أن يتوكل على كل ما تظن أنه سينفعك، وإذا علم الإنسان وتيقن أن الله هو الغني الحسب الكافي فيتوكل عليه.

6-استسلام القلب لله سبحانه وتعالى، فإذا استسلم كاستسلام العبد الذليل لسيده وانقياده له حصل التوكل.

7- التفويض: وهو روح التوكل ولُبُّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله. **قال تعالى:****فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** **(غافر:44)** أي: أتوكل عليه وأستعينه مع مقاطعتي ومباعدتي لكم إذا خدعتموني.

قال ابن مسعود : إن أشد آية في القرآن تفويضًا: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (الطلاق:3)

(رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وعبد الرزاق في مصنفه)

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-: وجملة التوكل؛ تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به ".**(الجامع لشعب الإيمان: 2/72)**

8- الرضا: وهو ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها، فإنما فسره بأجل ثمراته وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل، رضي بما يفعله وكيله، يقول بشر الحافي-رحمه الله-:" يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به ". وكان شيخنا – رحمه الله- يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية. أو معنى هذا، قلت: وهذا معنى قول النبي في دعاء الاستخارة." **اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعِلْمِكَ وأستقدِرُكَ بقدرتِكَ وأسألُكَ مِن فضلِكَ العظيمِ".** فهذا توكل وتفويض. ثم قال:" **فإنَّكَ تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ، وأنتَ علَّامُ الغُيوبِ".** فذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة وتوسل إليه سبحانه وتعالى بصفاته التي هي أحبُّ ما توسل إليه بها المتوسلون ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحتُه عاجلًا أو آجلًا، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مَضَرَّتُه عاجلًا أو آجلًا، فهذا هو حاجته التي سألها. فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له، فقال:" **واقدرْ ليَ الخيرَ حيثُ كانَ ثمَّ رضِّني بهِ".** فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها: التَّوكل والتفويض قبل وقوع المقدور والرضا بعده وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فان لم يرض بما قُضي له، فتفويضه معلول فاسد. فاستكمال هذه الدرجات الثمان، يستكمل العبد مقام التوكل وتثبيت قدمه فيه ". اهـ **(مدارج السالكين: 2/117-123)**

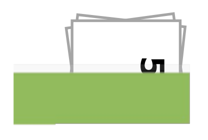
التوكل على الله هو سبيل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين:

التوكل على الله هو حبل الله المتين الذي يتعلق به الأنبياء والمرسلون، وهم أكمل الناس إيمانًا وقد اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه فكان توكلهم على الله خالقهم، والأدلة من الشرع الحنيف كثيرة ومنها:

أولًا: ما ذكره الله تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: 11،12)

قال السعدي-رحمه الله- في" تفسيره عند هذه الآية:". ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: صحيح وحقيقة أنا بشر مثلكم،**﴿وَلَكِنَّ﴾** ليس في ذلك ما يدفع ما جئنا به من الحق فإن **﴿اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾** فإذا من الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله. فانظروا ما جئناكم به فإن كان حقا فاقبلوه وإن كان غير ذلك فردوه ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما جئناكم به، وقولكم: فأتونا بسلطان مبين، فإن هذا ليس بأيدينا وليس لنا من الأمر شيء. **﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** فهو الذي إن شاء جاءكم به، وإن شاء لم يأتكم به وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته ورحمته، **﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾** لا على غيره **﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** فيعتمدون عليه في جلب مصالحهم ودفع مضارهم لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه، ويثقون به في تيسير ذلك وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم.

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه، **﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾** أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإن هداه يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامنًا على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل. وفي هذا كالإشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بآية عظيمة، وهو أن قومهم -في الغالب- لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون **هذا كقول نوح لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي**





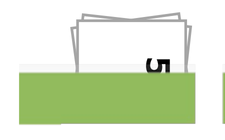


بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (يونس:71)
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا أي: ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى، احتسابًا للأجر ونصحًا لكم لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير. **وَعَلَى اللَّهِ** وحده لا على غيره **فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير. واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره، وهداية عبيده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل ".

ثانيًا: قال الله عز وجل عن موسى -عليه السلام-: وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (يونس: 84)
قال السعدي -رحمه الله- تعالى في تفسيره لهذه الآية:" وقال موسى موصيًا لقومه بالصبر، ومذكر لهم ما يستعينون به على ذلك **فقال:** **يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ** فقوموا بوظيفة الإيمان بالله **فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** أي اعتمدوا عليه والجئوا إليه واستنصروا. اهـ

ثالثا: قال تعالى عن نبيه هود -عليه السلام-: قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(54) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ(55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (هود: 54 -56)
قال السعدي-رحمه الله- في" تفسيره": **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ**، أي اعتمدت في أمري كله على الله، **رَبِّي وَرَبِّكُمْ** أي هو خالق الجميع، ومدبرنا وإياكم، وهو الذي ربانا، **مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**، فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه، فلو اجتمعتم جميعا على الإيقاع بي، والله لم يسلطكم علي، لم تقدروا على ذلك، فإن سلطكم، فلحكمة أرادها.

رابعا: قال تعالى عن نبيه نوح -عليه السلام-: يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (يونس:71)




فالله عز وجل يخبر عن نبيه نوح -عليه السلام- أنه كان يقول لقومه إن كان مقامي عندكم وتذكيري إياكم بآيات الله وهي الأدلة الواضحة البينة، قد شق عليكم، وعظم لديكم، وأردتم أن تنالوني بسوء أو تردوا الحق، فعلى الله توكلت، أي اعتمدت على الله، في دفع كل شر يراد بي، وبما أدعو إليه، فهذا جندي وعُدَّتي، وأنتم فأتوا بما قدرتم عليه، من أنواع العَدَد والعُدَد.

خامسًا: إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ربنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:4)

وأخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم حين القي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ - وفي رواية:" كانت آخر قول إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار:" حسبي الله ونعم الوكيل".

سادسًا: قال الله تعالى عن شعيب -عليه السلام-: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: 88)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية:" أي، ليس من المقاصد إلا أن تصلحوا أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي. ولما كان هذا فيه تزكية للنفس، دفع هذا بقوله ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾، أي ما يحصل لي من توفيق لفعل خير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي، ولا بقوتي ﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**﴾، أي اعتمدت في أموري، ووثقت في كفايته، ﴿**وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ في أداء ما أمرني به، من أنواع العبادات.

سابعًا: قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ:ـ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾(سورة النمل:79)،ـ قال تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمل:9) وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(التوبة: 129).

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء:81)

وقال النبي ﷺ لقومه: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الملك:29).

يقول السعدي -رحمه الله- في تفسيره:5/274":"ـ وقوله: ﴿**قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**﴾ والإيمان يشمل التصديق الباطن،

والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال وجودها وكمالها متوقفان على التوكل، خص الله التوكل من سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان ومن جملة لوازمه **كما قال تعالى:** ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ وهذا أيضًا من باب ذكر الخاص (التوكل) بعد العام (الإيمان) لبيان أهمية الخاص.

ثامنًا: أم موسى... وحسن توكلها على الله، وكمال الثقة به:

ومن علو الهمة في التوكل: الثقة بالله تعالى، فالثقة سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم. والثقة خلاصةُ التوكُّل ولُبّه، كما أن سواد العين أشرف ما في العين. والثقة هي النقطة التي يدور عليها التفويض، فلو كان التفويض قلبًا، لكانت الثقة سويداءه، ولو كان عينا لكانت سوادها، والثقة هي روح التوكل، ونسبتها إلى التوكل كنسبة الإحسان إلى الإيمان. **وعنوانها:** أمن العبد من فوت المقدور، وانتقاض المسطور، فيظفر بروح الرضا، إلا فبعين اليقين، وإلا فبلطف الصبر.

فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره النفس خيرًا كثيرًا، وخير مثال على الثقة بالله تعالى وعلو الهمة فيها: أم موسى-عليها السلام-**قال تعالى عنها:** ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (سورة القصص:7).

قال ابن القيم -رحمه الله-:" فإن فعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربها، لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء، تتلاعب به أمواجه، وجريانه إلى حيث ينتهي أو يقف ". **(مدارج السالكين: 2/143)**

لله ما أشرف هذا المقام وأحلاه وأعلاه، إن الأم إذا خافت على ولدها، ضمته إلى صدرها، ولكن أم موسى يلهمها الله تعالى أن تلقي بولدها في النهر، ثقة منها بربها، ويتهادى التابوت بالرضيع حتى يصل إلى تحت قصر فرعون، لتكون المعركة على أرضه، إنك ترسل المئات وآلاف بحثًا عن الرضيع، وتذبح من أجله آلاف من الرجال، وتستحيى النساء، فها هو الآن في قصرك، وأطلت آسية على موسى الذي زُكِّي **بقوله تعالى:** ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**﴾ **(طه: 39)**، فألقى الله محبته في قلبها، فقالت: ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ**﴾ **(القصص: 9)**، لهوان فرعون على الله، لم يرسل الله تعالى مع موسى لحفظه طائفة من الملائكة، وإنما حماه بأرق شيء، ستر رقيق من المحبة يغلف قلب آسية، ونفذ فرعون أمر آسية، فانظر كم قتل فرعون للظفر بموسى، ولسان القدر يقول له:" لا نربيه إلا في حجرك، ويحرم الله على موسى المراضع، لترضعه أمه، ليكون الرد كاملًا ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ**﴾**(القصص: 7)** فانظر جزاء الثقة بالله تعالى...

الطمأنينة﴿**لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا**﴾**(القصص: 10)** بعد أن كانت ترضع ولدها على خوف من فرعون وملئه، فالآن ترضع بأمر فرعون، وثقت بربها، فكانت تُرضع ولدها وتأخذ أجرها، وما كان هذا أبدًا لأم غيرها، ورد الله إليها ولدها، وأنعم عليه بالنبوة، فإن الهدية إذا جاءت من عند الملك تضمخ بطيبه.

تاسعًا: علو توكل هاجر أم اسماعيل – عليهما السلام -:

أخرج البخاري من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: أَوَّلَ ما اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِن قِبَلِ أُمِّ إسْمَاعِيلَ؛ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أثَرَهَا علَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بهَا إبْرَاهِيمُ وبِابْنِهَا إسْمَاعِيلَ وهي تُرْضِعُهُ، حتَّى وضَعَهُما عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ في أعْلَى المَسْجِدِ، وليسَ بمَكَّةَ يَومَئذٍ أحَدٌ، وليسَ بهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُما هُنَالِكَ، ووَضَعَ عِنْدَهُما جِرَابًا فيه تَمْرٌ، وسِقَاءً فيه مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى[1] إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ فَقالَتْ: يا إبْرَاهِيمُ، أيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا بهذا الوَادِي الَّذي ليسَ فيه إنْسٌ ولَا شيءٌ؟ فَقالَتْ له ذلكَ مِرَارًا، وجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا، فَقالَتْ له: آللَّهُ الَّذي أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَتْ: إذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ...". الحديث

وفي رواية للطبري بسند حسن:" ناداها جبريل: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم" قال: فلمن وكلكما؟ قالت: إلى الله، قال: وكلكما إلى كاف يكفيكما ".

فضل التوكل على الله تعالى:

مقدمة:

يقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه الفوائد ص:167":

من ترك الاختيار والتدبير في رجاء الزيادة، أو خوف نقصان، أو طلب صحة، أو فرار من سقم، وعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وانه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة، ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه –استراح حينئذٍ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات– وحمَّل كله وحوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها،

1- أي ولّى راجعًا.

فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه، وجعله وحده همه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرَّغ قلبه منها، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه.
وإن أبى إلا تدبيره لنفسه، واختياره لها، واهتمامه بحظه دون حق ربه، خلاَّه وما اختاره، وولاه ما تولى، فحضره الهمّ والغمّ والحزن والنكد والخوف والتعب وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو ولا أمل يحصل، ولا راحة يفوز بها ولا لذة يتهنى بها، بل قد حيل بينه وبين مسرَّته وفرحه وقرة عينه، فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش، فلا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها لمعاد.

والله سبحانه، قد أمر العبد بأمر، وضمن له ضمانًا، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص، قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج، فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده، والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همّه ومراده، والمغفرة لمن استغفره، وقضاء الحوائج لمن صدقه في طلبها ووثق به وقوي رجاؤه وطمعه في فضله وجوده. فالفطن الكيِّس، إنما يهتم بأمره وإقامته وتوفيته لا بضمانه، فإنه الوفيُّ الصادق، ومن أوفى بعهده من الله. فمن علامات السعادة صرف اهتمامه إلى أمر الله دون ضمانه. ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبه وخشيته والاهتمام بضمانه. والله المستعان ".

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع وبيان فضل التوكل على الله.

1- التوكل على الله نصف الدين:

قال ابن القيم-رحمه الله-: الدين نصفان: عبادة واستعانة، فالعبادة هي الإنابة، والاستعانة هي التوكل على الله ". **(مدارج السالكين: 2/113)**

فالتوكل على الله من أفضل الأعمال القلبية بعد الإيمان واليقين، فلا يقوم الدين إلا على أساس التوكل، وقد أمرنا المولى تبارك وتعالى أن نتوكل عليه في طاعته وعبادته، فعلمنا سبحانه أن نقول في صلاتنا: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** وعلمنا النبي أن نقول بعد كل صلاة:**" اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ [1] ". ويقول المؤمنون في**

---

[1]- أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ونصه: قَالَ :" أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ". (صحيح الأدب المفرد: 534).



دعائهم: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن: 4)
وقال تعالى: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
مقتدين في ذلك بالنبي الكريم شعيب -عليه السلام- **حيث يقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود:88)**

2- التوكل على الله سبب للهداية والكفاية والوقاية من الله تعالى:

النبي ﷺ أمرنا أن نعزم التوكل على الله عند خروجنا من البيوت، وعند عودتنا لئلا نحرم الهداية والكفاية والوقاية.

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" مَن قالَ إذا خرجَ من بيتِهِ: بِسمِ اللَّهِ، توَكَّلتُ علَى اللَّهِ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ، يقالُ لهُ: هُديتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ فيتنَحَّى عنهُ الشَّيطانُ، ويقولُ شيطانٌ آخرُ: كيفَ لَكَ برجُلٍ هديَ، وَكُفيَ، ووقيَ؟". (السلسلة الصحيحة: 3163)

- وفي رواية:" إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟".

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله – في شرحه لكتاب رياض الصالحين:1/563":"ـ الشَّاهدُ من هذا الحديثِ قولُه:**" بسم الله توكَّلتُ على اللهِ"** فإنَّ في هذا دليلًا علي أنَّ الإنسانَ ينبغي له إذا خرج من بيتِه، أن يقول هذا الذِّكْرَ، الذي منه التوكلُّ على اللهِ والاعتصامِ به، لأنَّ الإنسانَ إذا خرج من بيتِه فهو عُرْضةٌ لأن يصيبَه شيءٌ، أو يعتدي عليه حيوان؛ من عقرب أو حيَّة أو ما أشبه ذلك، فيقولَ:**" بسم الله توكَّلتُ على اللهِ"**. وسبق لنا أنَّ التَّوكُّل على الله، والاعتمادِ عليه من الثقة به وحُسْنِ الظنِّ ". اهـ

3- التوكل على الله من شعب الإيمان وهو من أعظم سمات وخصائص المؤمنين:

قال تعالى:﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(الشورى: 36)

وقـــالَ تعـــالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُـــونَ﴾ (آل عمـــران: 122)
وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُـوا إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ﴾ (المائـدة: 23)
وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التغابن:13)
لم يخاطب الله بالتوكل في كتابه إلا خواص خلقه، وأقربهم إليـه، وأكـرمهم عليه، وشرط في إيمانهم أن يكونوا متوكلين، والمعلـق على الشـرط يعـدم بعدمه، وهذا يدل على انتفاء الإيمان عنـد انتفـاء التوكـل فمن لا يتوكـل، فلا إيمان له، فالتَّوكُّلُ على اللهِ مِن مَعالي مَراتِبِ الإيمانِ.
قال سهيل بن عبد اللـه -رحمـه اللـه-:" من طعن في التوكـل؛ فقـد طعن في الإيمان ".
وقال سعيد بن جبير -رحمه الله-:" التوكل على الله عـز وجـل جمـاع الإيمان ".
قال تعالى مادحًا عبـاده المؤمـنين: ﴿ إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُـوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًـا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2) الَّذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ يُنفِقُون (3) أُوْلَــئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُـونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـاتٌ عِنـدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم ﴾ (الأنفال: 2-4)
قـــال ابن كثـــير-رحمـــه اللـــه- في قولـــه تعـــالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي لا يرجون سواه ولا يقصدون غيره ولا يلوذون إلا بجنابــه ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان ومــا لم يشأ لم يكن وانه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمــه وهو سريع الحساب، ولهـذا قـال سـعيد بن جبـير: التوكـل على اللـه جمـاع الإيمان ". **(تيسيير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير)**
وفي الصحيحين عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:" إِذَا أتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْــطَجِعْ علَى شِــقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُــلْ: اللَّهُمَّ أسْــلَمْتُ وجْهِي إلَيْــكَ، وفَوَّضْــتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْـكَ، لا مَلْجَـأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، فأنْتَ علَى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِــرَ مــا تَتَكَلَّمُ بــهِ. قــالَ: فَرَدَّدْتُهَـا علَى النــبيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، قُلتُ: ورَسولِكَ، قالَ: لَا، ونَبِيِّكَ الــذي أرْسَلْتَ ".
وقوله:" **وفَوَّضتُ أمْري إليك**" فتَوكَّلتُ في جَميعِ أُموري عليك، راجيًا أنْ تَكفِيَني كـلَّ شَـيءٍ، وتَحمِيَـني مِن كـلِّ سُـوءٍ،" **وألْجَأتُ ظَهـري إليـك**"، فتَحصَّـنتُ بجِـوارِك، ولَجَـأتُ إلى حِفظِـك، فاحرُسْـني بعَينِـك الـتي لا تَنـامُ،

وقولُه:" **أَلْجَأْتُ ظَهري إليك**" بَعْدَ قولِه:" **وفوَّضْتُ أمْري**" إشارةٌ إلى أنَّه بَعْدَ تَفويضِ أُمورِه التي يَفتقِرُ إليها، وبها مَعاشُه، وعليها مَدارُ أمْرِه؛ يَلتجِئُ إليه ممَّا يَضُرُّه ويُؤذِيه مِن الأسبابِ الداخلةِ والخارجةِ، وإنَّما فَعَلْتُ ذلك كلَّه رَغبةً، أي: طَمَعًا في رَحمتِك، وخَوفًا منك ومِن عِقابِك؛ فإنَّه لا مَفرَّ منك إلَّا إليك، ولا مَلاذَ مِن عُقوبتِك إلَّا بالالتِجاءِ إلى عَفْوِك ومَغفرتِك يا أرحمَ الرَّاحِمينَ. **(الدرر السنية)**

وأخرج الترمذي من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ:" اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ".

4- التوكل على الله سبب لكفاية الله لعبده من كل همٍّ وسوء:

قال تعالى: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (الطلاق:3)

وقال تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ فمن كان الله حسبه وكافيه وراعيه فقد فاز فوزًا عظيمًا ولهذا كفى الله إبراهيم في النار حين قال:" **حسبي الله ونعم الوكيل**" فصارت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا (الأحزاب: 25)** وذلك يوم الأحزاب ونصرهم الله في مواطن كثيرة سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** وذلك حين استجابوا لله وتوكلوا عليه، **قال تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ(172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(173) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (آل عمران: 172-174)**

وفي الحديث:" حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، من قالها حين يصبح وحين يمسي كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا و الآخرة [1] ". (أخرجه أبو داود وابن السني)

وإذا كان الله قد جعل لكل عمل جزاءً من جنسه فقد جعل جزاء التوكل عليه الكفاية، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولو كاده مَن في الأرض جميعًا.

---

[1]- هو حديث موقوف على أبي الدرداء بإسناد جيد، وليس حديثًا مرفوعًا إلى النبي ، ولكنه في حكم المرفوع، لأن مثله ما يقال من جهة الرأي. ولفظه:" من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، كفاه الله ما أهمه".

تنبيه: هذا الحديث ليست فيه الزيادة المذكورة وهي:" من أمر الدنيا والآخرة ". فهذه الزيادة لا تصح.

وصدق القائل:

وإذا دَجَى ليلُ الخطوب وأظلمتْ سبلُ الخلاص وخاب فيها الآملُ
وآيستَ من وجـــه النجاة فمــــا لها سببٌ ولا يدنــــــو لهـــــا متنـــــــاول
يأتيكَ مـــن ألطافـــه الفـــرجُ الذي لم تحتسبه وأنتَ عنــــــه غافــــلُ

5- التوكل على الله سبب للفوز بمحبته:

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: 159)

وقوله: ﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. أي فإذا عقدت نيتك على إتمام الأمر وإمضائه بعد المشاورة السليمة وبعد أن تبين لك وجه السداد فيما يجب أن تسلكه فبادر بتنفيذ ما عقدت العزم على تنفيذه، **﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** أي اعتمد عليه في الوصول إلى غايتك، فإن الله-تبارك وتعالى- يحب المعتمدين عليه، المفوضين أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب التي شرعها لهم لكي يصلوا إلى مطلوبهم. فالجملة الكريمة تأمر النبي ﷺ وتأمر كل من يتأتى له الخطاب بأن يبذل أقصى جهده لمعرفة ما هو صواب بأن يستشير أهل الخبرة كل في مجال تخصصه فإذا ما استقر رأيه على وجهة نظر معينة- بعد أن درسها دراسة فاحصة واستشار العقلاء الأمناء فيها- فعليه أن يبادر إلى تنفيذها بدون تردد فإن التردد يضيع الأوقات والتأخر كثيرا ما يحول الحسنات إلى سيئات وعليه مع حسن الاستعداد أن يكون معتمدا على الله، مظهرا العجز أمام قدرته سبحانه، لأنه هو الخالق للأسباب والمسببات وهو القادر على تغييرها. وكم من أناس اعتمدوا على قوتهم وحدها، أو على مباشرتهم للأسباب وحدها دون أن يجعلوا للاعتماد على الله مكانًا في نفوسهم، فكانت نتيجتهم الفشل والخذلان وكانت الهزيمة المنكرة المرة التي اكتسبوها بسبب غرورهم وفجورهم وفسوقهم عن أمر الله.

ورحم الله القائل: إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده **(التفسير الوسيط)**

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: وقوله: **﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾** أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة **﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾** أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، **﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** عليه، اللاجئين إليه. اهـ

- **فالتوكل سبب لمحبة الله عز وجل، وإذا أحبك الله؛ فأبشر.**

قال ابن القيم -رحمه الله- في تفسـيره القيم:" ولـو لم يكن في محبة الله إلا أنها تنجي محبه من عذابه لكان ينبغي للعبد أن لا يتعوض عنها بشيء أبدًا. وقد سئل بعض العلماء أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فقال في قوله تعـالى: **﴿وَقالَتِ اليَهُـودُ والنَّصـارى نَحْنُ أبْنـاءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ (المائدة:18)**

وقال الإمام أحمد حـدثنا إسـماعيل بن يـونس عن الحسـن ﷺ أن النبي ﷺ قال:" واللـه لا يعـذب اللـه حبيبـه ولكن قـد يبتليـه في الدنيا ". اهـ

6- التوكل من أعلى مقامات الإيمان وأفضلها:

قال سعيد بن جبير-رحمه الله-:" التوكل على الله جماع الإيمان ".
(أخرجه الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة، والبيهقي في شعب الإيمان)

جعل الله تعالى لكل عمل من أعمال البر ومقام من مقاماته جزاءً معلومًا. **كما في قوله تعالى:**
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾(الطلاق:3)
وكما في قوله تعالى: **﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: 69)**

إلا في التوكل فالجزاء عظيم والفضل كبير؛ فقد جعل الله نفسه كفيلًا وحسيبًا للمتوكل عليه، وكفى بهذا شرفًا وفضلًا. **قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:3)**

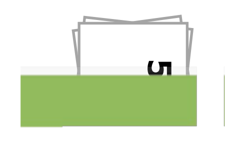
وهذا يدل على أن التوكل من أحب الأعمال القلبية إلى الله تعالى، ولذلك قرنه الله بالعبادة في قوله تعالى: **﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود:123)**

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-:" الأصل الجامع الذي تتفرع عنه الأفعال والعبادات هو: التوكل على الله وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، وهو خلاصة التغريد، ونهاية تحقيق التوحيد، الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا بالله ربًّا وإلهًا والرضا بقضائه، بل ربما أوصل التوكل إلى التلذذ بالبلاء وعدّه من النعماء، كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ". اهـ

7- التوكل على الله تعالى يثمر الرضا بالقضاء والقدر:

قال ابن رجب-رحمه الله- في كتابه "جامع العلوم والحكم":"
واعلم أن ثمرة التوكل الرضا بالقضاء فمن وكَّل أموره إلى الله تعالى ورضي بما يقضيه له ويختاره فقد حقق التوكل، ولذلك كان الحسن والفضيل وغيرهما يفسرون التوكل على الله بالرضا.

قال ابن أبي الدنيا-رحمه الله-:" بلغني عن بعض الحكماء قال: التَّوَكُّلُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: **أَولَاهَا:** تَرْكُ الشِّكَايَةِ، **وَالثَّانِيَةُ:** الرِّضَا، **وَالثَّالِثَةُ:** الْمَحَبَّةُ، فَتَرْكُ الشِّكَايَةِ: دَرَجَةُ الصَّبْرِ، وَالرِّضَا: سُكُونُ الْقَلْبِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَهِيَ أَرْفَعُ مِنَ الْأُولَى والثانية، وَالْمَحَبَّةُ: أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ لِمَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِ، فَالْأُولَى: لِلزَّاهِدِينَ، وَالثَّانِيَةُ: لِلصَّادِقِينَ، وَالثَّالِثَةُ: لِلْمُرْسَلِينَ ". اهـ





8- التوكل يقي من كيد الشيطان:

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ اللهِ : " مَن قالَ إذا خرجَ من بيتِهِ: بِسمِ اللَّهِ، توَكَّلتُ علَى اللَّهِ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ، يقالُ لهُ: هُديتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ فيتنَحَّى عنهُ الشَّيطانُ، ويقولُ شيطانٌ آخرُ: كيفَ لَكَ برجُلٍ هديَ وَكُفيَ ووقيَ؟". (السلسلة الصحيحة:3163)

- وفي رواية: " إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُل قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟".

عن بَهيم أَبُي بَكْرٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا فِي بُسْتَانٍ لِي، إِذْ خُيِّلَ لِي رُؤْيَةُ شَخْص أَسْوَدَ، فَفَزِعْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَسَاخَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ وَرَائِي يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (الطلاق:3)** فَالْتَفَتُّ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ". **(التوكل على الله لابن أبي الدنيا:34)**

9- التوكل على الله يذهب التشاؤم:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله : " الطِّيرةُ [1] شِركٌ- قالها ثلاثًا- وما منَّا إلَّا [2] ولَكِنَّ اللَّهَ يُذهِبُهُ بالتَّوَكُّلِ". (السلسلة الصحيحة: 429)

الطِّيَرةُ هي التشاؤُمُ بالشيءِ وقد ذكَرَها النبيُّ في هذا الحديثِ ثلاثًا مُحذِّرًا منها، فقال: " الطِّيَرةُ شِركٌ الطِّيَرةُ شِركٌ.. ثلاثًا"، وإنَّما كانتِ الطِّيَرةُ شِركًا؛ لأنَّها من أعمالِ أهلِ الشِّركِ، ولأنَّها سوءُ ظنٍّ في اللهِ عزَّ وجلَّ. وفي الحديثِ: الأمرُ بالتوكُّلِ على اللهِ وحدَه وتعلُّق القلبِ به سُبحانَه.

قال العلامة المناوي -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: " الطيرة - بكسر ففتح-: قال الحكيم: هي سوء الظن بالله وهرب من

---

[1]- الطيرة هي التشاؤم الذى يصد صاحبة عن المضي لحاجته. واشتقاقها من الطير؛ إذ كانوا يتطيرون من الغراب والأخيل ونحوهما، وكان الواحد منهم إذا خرج لأمر ورأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وكانوا يسمون الطائر ذات اليمين بالسانح ويستبشرون به ويستدلون به على نجاح سفرهم وقضاء حوائجهم، كما يسمون الذي يأخذ بالشمال (البارح) فيتشاءمون به، وقد يرجعون عن السفر بسببه، أو يتوقفون عن عمل بدأوه.

[2]- وقولُه:" وما مِنَّا إلَّا": هذا من كلام عبد الله بن مسعود ، أي: ما منَّا أحدٌ إلَّا يَعتريه التطيُّرُ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُذهب عنه هذا الفِعلَ الذي هو مِن شِيَمِ أهل الجاهليَّةِ بالتوكُّلِ على اللهِ وحْدَه، مع فِعلِ الأسبابِ ثم تَرْكِ الأمرِ للهِ سُبحانَه وهو يُقدِّره حيثُ شاءَ وكيفَما شاءَ.

قضائه؛ شرك: أي من الشرك لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب يؤثر في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي فكيف إذا انضم إليها جهالة فاحشة وسوء اعتقاد، ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالا فقد أشرك.... والفرق بين الطيرة والتطير: أن التطير: الظن السيئ بالقلب، والطيرة: الفعل المترتب عليه ". **(فيض القدير: 3/388)**

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله :" لن يلج الدرجات العلا من تكهن أو تُكُهِّن له، أو رجع من سفر تطيرا ". (الصحيحة: 1161) (صحيح الجامع:5226)

وفي رواية عند البزار بلفظ:" ليس منا من تَطيَّر أو تُطِيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له ".

10- التوكل على الله طريق الغنى وسعة الرزق:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله :" لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّله [(1)]؛ لرزقكم كما يُرزق الطيرُ، تغدُوا [(2)] خِمَاصًا [(3)] وتَرُوح[4] بِطانًا [(5)] ".(صحيح الجامع: 5254) (الصحيحة: 310)

قال النووي-رحمه الله- في" كتابه رياض الصالحين" تعليقًا على الحديث:" معناه: أن الطير تذهب أول النهار خماصًا: أي ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطانًا: أي ممتلئة البطون ". اهـ

وخص النبي الطير في هذا الحديث وضرب بها المثل في التوكل على الله تعالى لأنها ليس لها مالك يطعمها ويسقيها فهي تعتمد على الله تعالى اعتمادًا كاملًا في طلب الرزق، بالإضافة إلى أن الطير لا يدخر طعامًا للغد، بل كل يوم بيومه، وهذا من صدق التوكل على الله عز وجل وحسن الظن به، وهكذا ينبغي أن نكون.

وقفة: اجتمع حذيفة المرعشي وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط، فتذاكروا الفقر والغنى، وسليمان الخواص ساكت، فقال بعضهم: الغنيُّ من كان له بيت يكنه، وثوب يستره، وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا، وقال بعضهم: الغني من لم يحتج إلى الناس، فقيل لسليمان: ما تقول أنت يا أبا أيوب في ذلك؟ فبكى ثم قال: رأيت جوامع الغنى في التوكل، ورأيت

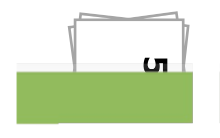
1-? لو أنكم توكلتم على الله حق توكله: أي تصدقون في اعتمادكم على الله تعالى في سائر أحوالكم.

2- تغدو: الغدوة: الخروج أول النهار.

3- خماصًا: أي جياعًا، خاليات البطون من الغذاء. كما قال تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (المائدة:30) جامع الأصول: 10 /140)

4- وتروح: أي ترجع آخر النهار.

5-? بطانًا: أي ممتلئات البطون. (المصدر السابق).








جوامع الفقر في القنوط، والغني حق الغنى؛ من أسكن الله في قلبه من غناه يقينًا، ومن معرفته توكلًا ومن قسمته رضًا، فذلك الغني حق الغنى وإن أمسى طاويًا وأصبح معوزًا، فبكى القوم من كلامه ". **(الجامع لشعب الإيمان: 2/ 169)**

قال الشافعي-رحمه الله-:

تَوَكَّلتُ في رِزقي عَلى اللَهِ خالِقي وَأَيقَنتُ أَنَّ اللَهَ لا شَكَّ رازِقي
وَما يَكُ مِن رِزقي فَلَيسَ يَفوتَني وَلَو كانَ في قاعِ البِحارِ العَوامِقِ
سَيَأتي بِهِ اللَهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ وَلَو لَم يَكُن مِنّي اللِسانُ بِناطِقِ
فَفي أَيِّ شَيءٍ تَذهَبُ النَفسُ حَسرَةً وَقَد قَسَمَ الرَحمَنُ رِزقَ الخَلائِقِ

(الجامع لشعب الإيمان: 2/169)

11- التوكل على الله سبيل النصر على الأعداء:

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران:160)

ها هو موسى عليه السلام لما أراد أن يدخل بقومه لتحرير الأرض المقدسة أخذ يذكّرهم أولًا بنعم الله عليهم **فقال: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:20)**

ثم بعد ذلك وضع أمامهم التكليف الرباني: **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة:21)**

وفجأة قام رجلان أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان والتوكل؛ وهما: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا وقالا: إن سلاحكم العظيم الذي ستفتحون به المسجد الأقصى هو: التوكل على الله. كما جاء في قوله تعالى: **﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:23)**

وعلى الرغم من ذلك: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة:24)

فكانت العقوبة من الله لبني إسرائيل: قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (المائدة:26)

وكان الجزاء والأجر العظيم ليوشع بن نون أنه بعد وفاة موسى-عليه السلام- أقام يوشع نبيًّا خليفة عن موسى-عليه السلام- ومات أكثر بني إسرائيل في تلك الفترة (التيه)، ويُقال: أنه لم يبق أحد سوى يوشع ابن نون، وكالب بن يوفنا، فلما انقضت المدة، خرج بهم يوشع أو بمن بقى منهم وبسائر الجيل الثاني فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة وبعد العصر، فلما تضيَّفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم **قال يوشع للشمس:** إنك مأمورة وأنا مأمور؛ اللهم احبسها عليّ. فحبسها الله حتى فتحها ودخل منتصرًا، فهذا هو جزاء التوكل، **ولذا قال النبي : " ما حُبِسَتِ الشمسُ على بَشَرٍ قطُّ، إلَّا على يُوشَعَ بنِ نُونَ لَيالِيَ سارَ إلى بَيتِ المَقْدِسِ ".**
(رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة
وهو في صحيح الجامع: 5612)

12- التوكل على الله سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (العنكبوت:58،59)

ذكر الله تعالى أنه سيدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة ويبوئهم غرفًا فيها، ثم ذكر بعد ذلك أنه من أخص أوصافهم وصفاتهم التي بسببها دخلوا الجنة، أنهم كانوا من الصابرين، وعلى ربهم يتوكلون.

قال السعدي-رحمه الله- في الآية السابقة:" ثم ذكر وصف أوليائه فقال: **الَّذِينَ صَبَرُوا** على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم ". اهـ

وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدًا شيءٌ من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله.

وأخبر النبي أن المتوكلين في عداد السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- أن النبي قال:" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ معهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبيُّ معهُ

الرَّهْطُ [1]، والنَّبيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ [2]، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فقِيلَ: هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، ومع هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيَّنْ لهمْ، فَتَذَاكَرَ أصْحَابُ النَّبيِّ فَقالوا: أمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبيَّ فَقالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ [3]، ولَا يَسْتَرْقُونَ [4]، ولَا يَكْتَوُونَ [5]، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [6]". فَقامَ عُكَّاشَةُ [7] بنُ مِحْصَنٍ فَقالَ: أمِنْهُمْ أنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: نَعَمْ. فَقامَ آخَرُ فَقالَ: أمِنْهُمْ أنَا؟ فَقالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَّاشَةُ ".

- **إن التوكل على الله عز وجل مطلوب في كل شؤون الحياة بيد أن هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحض على التوكل والأمر للمصطفى والمؤمنين وقد ذكر الفَيْروز أباديُّ-رحمه الله- من ذلك:**

(1) إن طلبتم النصر والفرج فتوكلوا عليه.

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران:160)

(2) إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء:81)

(3) إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على الوكيل-عز وجل-.

1- الرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة.

2- الأفق: الناحية والجانب.

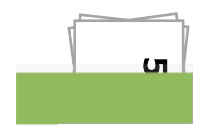
3- التطير: التشاؤم بمسموع أو مرئي أو معلوم، وسمي بالتطير لأن غالب التشاؤم عند العرب كان بالطير، فكانوا يزجرون الطير فإذا ذهب يمينًا يتفاءلون، وإذا ذهب يسارًا يتشاءمون، والطيرة: التشاؤم الذي يصد صاحبه عن العمل.

4- وقوله" لا يسترقون": أي لا يطلبون الرقية. الرقية: تعويذ المريض بقراءة أذكار مشروعة عليه.

5- لا يكتوون: لا يتداوون بالكي.

6- ?التوكل: هو صدق الاعتماد على الله تعالى في جلب النفع أو دفع الضر، وذلك بالأخذ بالأسباب المشروعة دون التعلق بها ثم الرضا بالمقضي.

7- عُكَّاشة: بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها والتشديد أفصح.








قال تعـالى: ﴿فَـإِن تَوَلَّوْا فَقُـلْ حَسْـبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰـهَ إِلَّا هُـوَ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة:129)

(4) إذا تُلى القـرآن عليـك أو تلوتـه فاسـتند على التوكـل على الله تعالى:
قال تعالى: ﴿إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُـوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـــهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًـــا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُـــونَ﴾ (الأنفال:2)
(5) إذا طلبت الصلح والإصلاح بين قـوم لا تتوسـل إلى ذلـك إلا بالتوكل على الله تعالى:
﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال:61)

(6) إذا وصـلت قوافـل القضـاء فاسـتقبلها بالتوكـل على اللـه تعالى:
﴿قُـلْ لَّن يُصِـيبَنَا إِلَّا مَـا كَتَبَ اللَّهُ لَنَـا هُـوَ مَوْلَانَـا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:51)

(7) إذا نصــبت الأعــداء حبــالات المكــر فادخــل أنت في أرض التوكل على الله تعالى:
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَـوْمِ إِن كَـانَ كَبُـرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَـوَكَّلْتُ فَـأَجْمِعُوا أَمْـرَكُمْ وَشُــرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْــرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُــوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (يونس:71)

(8) إذا عرفت أن مرجع الكل إلى الله وتقـدير الكـل فيهـا للـه، فوطِّن نفسـك علـى فـرش التوكـل على اللـه تعـالى. ﴿فَاعْبُـدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود:123)

(9) إذا علمت أن الله هو الواحـد على الحقيقـة فلا يكن اتِّكالُـك إلا عليه.
﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد:30)

(10) إذا كـانت الهدايـة من اللـه، فاسـتقبلها بالشـكر والتوكـل على الله تعالى.
﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْـبِرَنَّ عَلَىٰ مَـا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:12)

(11) إذا خشيت بأس أعداء اللـه والشـيطان والغـدار فلا تلتجئ إلا إلى باب الله تعالى.
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَـهُ سُـلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُـونَ﴾ (سورة النحل:99)

(12) إذا أردت أن يكون الله تعالى وكيلك في كل حال؛ فتمسك بالتوكل في كل حال.
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الأحزاب:3)

(13) إذا أردت أن يكــون الفــردوس الأعلى منزلــك فــانزل في مقام التوكل على الله تعالى.
﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (سورة النحل:42)

(14) إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولًا مقام التوكــل على الله تعالى.



﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:159)

(15) إذا أردت أن يكون الله لك، وتكون لله خالصًا؛ فعليك بالتوكل عليه.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:3)
(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي 2/313-315)

وجاء في" كتاب نضرة النعيم: 4/1398" من فوائد التوكل":

١- أنّه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
٢- التوكل على الله: يجلب محبّة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده.
٣- التوكل على الله: سبيل لدوام طلب المعونة من الله الملك؛ ليقين المتوكّل بالعجز التّامّ عن تحصيل
ما يريده، وتمام قدرة الله على إنجاز كلّ ما يريد وفوق ما يريد.
٤- التوكل على الله: سبب للحفظ والمنعة من الشّيطان الرّجيم ومن البشر اللّئيم.
٥- التوكل على الله: سبب للوقوف على الحدود الشّرعيّة وعدم الخوض في الحرام.
٦- التوكل على الله: سبب لترك المزاحمة مع النّاس؛ لأنّ المتوكّل لا يخاف فوت شيء قُدّر له.
٧- التوكل على الله: سبب لقطع الطمع فيما في أيدي النّاس توكّلا على ما عند الله.
٨- التوكل على الله سبب لراحة البال واستقرار الحال.
9- التوكل على الله: لا يمنع الأخذ بالأسباب المشروعة المباحة مع الخروج من أسرها.
١٠- التوكل على الله: يحقّق طاعة الله ورسوله ﷺ.
11- التوكل على الله: يحقّق رضا الله، فيجعل للعبد مخرجا ويكفّر عنه سيّئاته.
١٢- التوكل على الله: يهيِّئ صاحبه للفوز بصحبة النّبيّين في جنّات النّعيم.
١٣- التوكل على الله: من أسباب سعة الرّزق.
١٤- التوكل على الله: به تمام المعونة من الله ﷻ ممّا يدفع عن المتوكّل شرّ الأشرار من الشّيطان
ومن كلّ من يكيده.
15- التوكل على الله: سبب لقوة القلب ونشاطه.
16- التوكل على الله: سبب للوقاية من الانهيارات النفسية والعصبية.
17- التوكل على الله: يبعث في القلب العزيمة والحماس على العمل لأنه يفتح باب الأخذ بالأسباب

المشروعة.

18- التوكل على الله: يرفع الروح المعنوية.

19- التوكل على الله: سبب في الدخول في معية الله و يستشـعر أن اللـه معه؛ ناصره ومعينه وكافيه.

اهـ بتصرف.

النبي - صلى الله عليه وسلم- وحس التوكل على الله:

- مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:" حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَهَا إبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قالوا له: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (آل عمران: 173)

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي بكر قالَ: نَظَرْتُ إلى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ علَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ في الغَارِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ! لو أنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إلى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقالَ:" يا أَبَا بَكْرٍ! ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ".

قال تعالى: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (التوبة:40)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديثْ جَابِرٍ أنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ قِبَلَ نَجْدٍ [1] فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّه قَفَلَ مَعهُمْ، فأدْركَتْهُمُ القَائِلَةُ [2] في وادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ [3]، فَنَزَلَ رسولُ اللَّهِ ، وتَفَرَّقَ النَّاسُ يسْتظلُّونَ بالشَّجَرِ، ونَزَلَ رسولُ اللَّه تَحْتَ سمُرَةٍ [4]، فَعَلَّقَ بِهَا سيْفَه، ونِمْنَا نَوْمةً، فَإِذَا رسولُ اللَّهِ يدْعونَا، وإِذَا عِنْدَهُ أعْرابِيٌّ [5] فقَالَ: إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ [6]عَلَيَّ سيْفي وأنَا نَائِمٌ، فاسْتيقَظتُ وَهُو في يدِهِ صَلْتًا [7]، قالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ منِّي؟ قُلْتُ: اللَّه -ثَلاثًا وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ ".

- وفي رواية: قال جابر: كُنَّا مع النَّبيِّ بذَاتِ الرِّقَاعِ [8]، فَإِذَا أتَيْنَا علَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ [9] تَرَكْنَاهَا للنَّبيِّ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ

-[1] نجد: لغة ما ارتفع من الأرض والمراد ما دون الحجاز.

-[2] القائلة: وقت القيلولة وهي النوم في الظهيرة.

-[3] العضاة: الشجر الذي له شوك.

-[4] السمرة: بفتح السين وضم الميم: الشجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاة.

-[5] وعنده أعرابي: هو غورث بن الحارث من بني محارب الذي خرج رسول الله لقتالهم في غزوة ذات الرقاع، وقد أسلم بعد هذا وصحب النبي .

-[6] اخترط: سلَّ السيف وأخرجه من غمده.

[7] - صلتا: أي مسلولا وهو بفتح الصاد وضمها.

-[8] ذات الرقاع: سميت بهذا الاسم لأنهم شدوا على أرجلهم الخرق من شدة الحر وفقد النعال، أو أن أرجلهم تعبت فوضعوا عليها الخرق، وقيل: ذات الرقاع أسم جبل قريب من المدينة فيه بقع حمراء وسوداء وبيضاء كأنها رقاع فسمي بذلك، وكانت الغزوة عنده، فسميت به، وقيل: لأنهم رقعوا رايتهم وقيل غير ذلك.

-[9] ظليلة: كثيرة الظل.

الْمُشْرِكِينَ وسَيْفُ النَّبيِّ مُعَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقالَ: تَخَافُنِي؟ قالَ: لَا، قالَ: فمَن يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قالَ: اللَّهُ.

- وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه: فقال: من يمنعك مني؟ فقال : اللهُ. فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله فقال: من يمنعك مني؟، فقال الأعرابي: كن خير آخذٍ[1]، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله؟ وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكني أعاهدُك أن لا أقاتِلَكَ، ولا أكونَ مع قوم يقاتلونك، فخلَّى سبيله، فذهب إلى أصحابه، فقال: قد جئتُكم من عندِ خير الناس ". (رواه الحاكم وأبو يعلى)

وكان من أسماء النبي المتوكل:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عَطاءُ بنُ يَسارٍ قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا-، قُلتُ: أَخْبِرْنِي عن صِفَةِ رَسولِ اللَّهِ في التَّوْرَاةِ، قالَ: أجَلْ؛ واللَّهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ ببَعْضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(الأحزاب: 45)، وحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أنْتَ عَبْدِي ورَسولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ، ولَا سَخَّابٍ في الأسْوَاقِ، ولَا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حتَّى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بأَنْ يَقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويَفْتَحُ بهَا أعْيُنًا عُمْيًا، وآذَانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا ".

وإنما قيل له ذلك لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره ". **(فتح الباري: 8/450)**

وقفة:

ومع كل هذا اليقين والتوكل الذي امتلأ به قلب النبي فقد كان يأخذ بالأسباب ويُعلم الأمة كلها أن تأخذ بالأسباب بشرط ألا تتعلق القلوب إلا بمسبب الأسباب جل وعلا.

فها هو النبي في هجرته من مكة إلى المدينة يستأجر رجلًا على دين قومه تجاه غار ثور، وكمن في الغار ثلاث ليال، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيه بالطعام، وكان عامر بن فهيرة يأتي بالشياه ليعفي على آثار عبد الله بن أبي بكر وليطعم النبي وأبا بكر من لبن الشياه.

وكان بمقدور رب العالمين أن ينقل النبي من مكة إلى المدينة في طرفة عين كما حدث في رحلة الإسراء- من مكة إلى بيت المقدس- لكن هذا درس يعلمنا إياه رب العالمين والنبي الأمين ؛ وهو الأخذ بالأسباب وعدم الركون إليها، واعتماد القلب على الله تعالى فهو مسبب الأسباب.

---

[1]- كن خير آخذ: بأن تعفو وتصفح وتقابل السيئة بالحسنة.

كذلك في يوم أحد كان النبي يقاتل ويُظاهر بين درعين، وكان يدخر قوت عام لأهل بيته وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حجَّة أو عمرة حمل الزاد واتخذ الراحلة؛ أخذًا بالأسباب، وغير ذلك من المواقف التي تدل على أن النبي كان يأخذ بالأسباب.

النبي-صلى الله عليه وسلم- ودعائه بالتوكل على الله:

مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال: قال لي رسول الله :

إذا أتيتَ مَضْجَعَكَ [1] فَتَوضَّأْ وضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ [2] الأيمَنِ، وقلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نفسي إلَيكَ [3]، وَفَوَّضتُ أمري إلَيْكَ [4]، وَألَجأْتُ ظَهري إلَيْكَ [5]، رغبةً ورهْبَةً إِلَيْكَ [6]، لا مَلجأ ولا مَنجى مِنْكَ إلاَّ إليكَ [7]، آمنتُ بِكِتَابِكَ الذِي أنزَلْت [8]، وَبِنَبِيِّكِ [9] الذِي أرسَلتَ، فإِنْ مِتَّ. مِتَّ عَلَى الفِطرةِ [10]، واجْعَلهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ [11] ".

وفي رواية:"يا فُلانُ! إذا أوَيْتَ[12]إلى فِراشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، ووَجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ [13]، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، آمَنْتُ بكِتابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنَّكَ إنْ مُتَّ في لَيْلَتِكَ مُتَّ علَى الفِطْرَةِ، وإنْ أصْبَحْتَ أصَبْتَ أجْرًا ".

قال ابن القيم-رحمه الله-:" وَالتفويضُ أَلْطَفُ إشارَةً، وأوْسَعُ مَعْنًى مِنَ التَّوَكُّلِ، فَإنَّ التَّوَكُّلَ بَعْدَ وُقُوعِ السَّبَبِ، والتَّفْوِيضُ قَبْلَ وُقُوعِهِ وبَعْدَهُ. وهو عَيْنُ الِاسْتِسْلامِ. والتَّوَكُّلُ شُعْبَةٌ مِنهُ. فالتَّفْوِيضُ: بَراءَةٌ وخُرُوجٌ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ، وتَسْلِيمُ الأمْرِ كُلِّهِ إلى مالِكِهِ. ولَوْ قالَ القائِلُ: التَّوَكُّلُ فَوْقَ

1- مضجعك: فراشك ومكان نومك.
2- شقك: جانبك.
3- أسلمت نفسي إليك: جعلتها منقادة لك طائعة لحكمك.
4- فوضت أمري إليك: توكلت عليك في جميع شؤوني.
5- ألجأت ظهري إليك: اعتصمت بك، واستندت إلى حفظك.
6- رغبة ورهبة إليك: طمعًا في ثوابك، وخوفا من عقابك.
7- لا ملجأ ولا منجى: يعني لا منجى ولا مخلص, والمعنى من يُعتمد عليه ويُفر إليه من عقابه إلى مغفرته وعفوه.
8- كتابك الذي أنزلت: أي القرآن المصدق بجميع الكتب المنزلة.
9- نبيك: هو النبي محمد الخاتم لجميع الرسل.
10- مت على الفطرة: هي الدين الصحيح والإيمان الكامل وأصل الفطرة: الجبلية والطبع المتهيء لقبول الدين الصحيح.
11- واجعلهم آخر ما تقول: أي من الدعوات عند النوم.
12- أويت: انضممت وسكنت.
13- وجهت وجهي إليك: أقبلت عليك راضيًا قانعًا.

التَّفْوِيضِ وأجَلُّ مِنهُ وأرْفَعُ، لَكانَ مُصِيبًا. ولِهَذا كانَ القُرْآنُ مَمْلُوءًا بِـهِ أمْـرًا، وإخْبارًا عَنْ خاصَّةِ اللَّهِ وأوْلِيائِهِ، وصَفْوَةِ المُؤْمِنِينَ، بِأنَّ حالَهُمُ التَّوَكُّلُ. وأمَـرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ في أرْبَعَةِ مَواضِعَ مِن كِتابِهِ، وسَمّاهُ المُتَوَكِّلَ كَما في صَحِيحِ البُخارِيِّ.
وَأخْبَرَ عَنْ رُسُلِهِ بِأنَّ حالَهم كانَ التَّوَكُّلَ. وبِـهِ انْتَصَـرُوا عَلى قَـوْمِهِمْ. وأخْبَـرَ النَّبِيُّ عَنِ السَّبْعِينَ ألْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ أنَّهم أهْـلُ مَقـامِ التَّوَكُّلِ.وَلَمْ يَجِئِ التَّفْوِيضُ في القُرْآنِ إلّا فِيما حَكـاهُ عَنْ مُـؤْمِنِ آلِ فِرْعَـوْنَ مِن قَوْلِهِ: **فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَـوِّضُ أَمْـرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**(غافر:44)
وَقَدْ أمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأنْ يَتَّخِذَهُ وكِيلًا. فَقالَ: **رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْـرِبِ لا إلَهَ إلّا هو فاتَّخِذْهُ وكِيلًا** **(المزمل: ٩).**
فَإنَّ اتِّخاذَهُ وكِيلًا هـو مَحْضُ العُبُودِيَّةِ، وخـالِصُ التَّوْحِيـدِ، إذا قـامَ بِـهِ صـاحِبُهُ حَقِيقَةً. فالَّذِي نَـذْهَبُ إلَيْـهِ: أنَّ التَّوَكُّلَ أوْسَـعُ مِنَ التَّفْـوِيضِ، وأعْلى وأرْفَـعُ. **(مدارج السالكين: 2/ 145 باختصار)**
وأخرج أبو داودَ والترْمذيُّ عَنْ أمِ المؤمـنين أمِّ سـلمةَ، واسـمُها هندُ بنتُ أبي أُميَّةَ حُذيْفةَ المخزومية- رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ كان إذا خرَج من بيتِهِ قال: بسمِ اللهِ، توَكَّلتُ على اللـهِ، اللَّهمَّ إني أعوذُ بك أنْ أَضِلَّ[1] أو أُضَـلَّ[2]، أو أَزِلَّ[3] أوْ أُزَلَّ[4]، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهلَ[5] أو يُجهَلَ عليَّ[6] ".
(صححه الألباني في صحيح أبي داود، والمشكاة:2442)
وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عبـاس -رضـي اللـه عنهمـا- أن رسول الله كان يقول:" اللَّهُم لَكَ أَسْلَمْتُ وبِـكَ آمنْتُ، وعليـكَ توَكَّلْتُ، وإليكَ أنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ. اللَّهمَّ أعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إلَـه إلاَّ أنْتَ أنْ تُضِلَّنِي أنْت الْحيُّ الَّذي لاَ تمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يمُوتُونَ ".

1- أَضِلَّ: أي أضيع عن الحق فلا أهتدي إليه، أو أن أغيب عن معالي الأمور.
2- أُضَلَّ: يضلني غيري.
3- أَزِلَّ: انزلق في مهاوي المعاصي والباطل، أو أزل عن الطريق المستقيم.
4- أُزَلَّ: يستولي علي من يزلني عن معالي الأمور إلى سفاسفها.
5- أجهل: أقع في الخطأ والسفه.
6- أو يُجهل عليّ: يسفه عليّ أحد ويعتدي عليّ.

النبي-صلى الله عليه وسلم- يعلم أمته حسن التوكل على الله

وقد أخرج ابن حبان من حديث عمرو بن أمية ﷺ قال: قال رجلٌ لِلنَّبيِّ ﷺ: أرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ؟ قال: " اعقِلْها [1] وتوكَّلْ ". (صحيح ابن حبان: 731)

وأخرجه الترمذي من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ:" اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ". (صحيح الجامع: 1068)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" مَن قالَ إذا خرجَ من بيتِهِ: بِسمِ اللَّهِ، توَكَّلتُ علَى اللَّهِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ[2]، يقالُ لهُ[3]: هُديتَ[4]، وكُفيتَ[5]، ووُقيتَ[6]، فيتنَحَّى عنهُ الشَّيطانُ[7]، ويقولُ شيطانٌ آخرُ: كيفَ لَكَ برجُلٍ هُدِيَ، وَكُفيَ، ووقيَ؟".

وأخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" كيفَ أنعَمُ وقدِ التقَمَ صاحبُ القرنِ القرنَ وحنَى جبهتَهُ وأصغى سمعَهُ ينتَظِرُ أن يؤمَرَ أن ينفخَ فينفخ قالَ المسلمونَ: فَكَيفَ نقولُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: قولوا حَسبُنا اللَّهُ ونعمَ الوَكيلُ [8]، توَكَّلنا على اللَّهِ ربِّنا [9]، وربَّما قالَ سفيانُ: على اللَّهِ توَكَّلنا ". (صحيح الترمذي: 3243)

ورواه الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم ﷺ بلفظ:" كيف أنعَمُ وصاحِبُ القَرنِ [10] قد التقَمَ القَرنَ وحَنى جَبهتَه، وأصغى السَّمعَ متى يُؤمَرُ، قال: فسَمِعَ ذلك أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ فشَقَّ عليهم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" قولوا: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ ". (صحيح الجامع:4592)

1- اعقلها: العقال هو الحبل الذي تربط به الدابة.

2- لا حول ولا قوة إلا بالله: الانتقال عن المعصية ولا قدرة على فعل الطاعة إلا بعون الله.

3- يقال له: يحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى أو ملك يأمره الله عز وجل.

4- هديت: إلى طريق الحق.

5- كفيت: أي كفيت همك.

6- وقيت: حفظت من كل شر.

7- تنحى عنه: أي مال من جهته وابتعد عن طريقه.

8- وقول النبي ﷺ:" قُولوا: حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ"، بمَعْنى أنَّ اللهَ هو كافينا، وهو نِعْمَ المَوْكولُ إليه، ونِعمَ المَولى ونِعمَ النَّصيرُ.

9-" تَوَكَّلْنا على اللهِ رَبِّنا"، أو" على اللهِ تَوَكَّلْنا"، أي: إليه فوَّضْنا أمْرَنا، وهذه الكَلِمةُ تُقالُ عِندَ الأمورِ العَظيمةِ، وما يُصيبُ المُسلِمِ مِن فَزَعٍ أو خَوفٍ.

10- صاحِبُ القَرْنِ: هو إسْرافيل -عليه السَّلامُ-، وهو المُكلَّفُ بالنَّفْخِ في الصور.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت خلف النبي يوما، فقال: يا غُلامُ! [1] إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ [2] يحفَظكَ [3]، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ [4] وجفَّتِ الصُّحفُ [5] ". (صحيح الترمذي: 2516)

- وفي رواية الإمام أحمد:" احفظ الله تجده أَمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسرِ يسرا ".

وهذا الحَديثُ أصلٌ عظيمٌ في مُراقبةِ اللهِ، ومُراعاةِ حقوقِه، وتَفويضِ الأُمورِ إليه، والتَّوكُّلِ عليه، وشُهودِ تَوحيدِه وتفرُّدِه، وعجْزِ الخلائقِ كلِّهم وافتقارِهم إليه وحدَه، وفيه أبلغُ ردٍّ على مَن اعتقَدَ النَّفعَ والضرَّ في غَيرِ اللهِ مِن الأولياءِ والصَّالِحين وأهلِ القبورِ، أو سألَهم واستعانَ بِهم مِن دُونِ اللهِ تعالى.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله :

1- "يا غلامُ"، والغُلامُ هو الصَّبيُّ الصَّغيرُ الَّذي لم يَبلُغِ الحُلُمَ بَعدُ.

2- "احفَظِ اللهَ"، أي: احْفَظْ حُدودَه وحُقوقَه وأوامَرَه ونواهيَه

3- "يَحْفَظْك"، أي: إذا اتَّقيتَه وحَفِظتَه كان جَزاؤُك أن يَصونَك مِن الشُّرورِ والموبقاتِ ويَحفَظَك في نَفسِك وأهلِك ومالِك ودِينِك ودُنياك، ويَحفظَك مِن مكارِهِ الدُّنيا والآخِرَة؛ فحِفظُ اللهِ لعَبدِه نوعان؛ أحَدُهما: حِفظُه له في مَصالِحِ دُنياه، كحِفْظِه في بدَنِه وولَدِه، وأهلِه ومالِه؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللَّهِ} (الرعد: 11)؛ فمَن حَفِظ اللهَ في صِباه وقوَّتِه، حَفِظه اللهُ في حالِ كِبَرِه وضَعْفِ قوَّتِه، ومتَّعه بسَمعِه وبصَرِه وحَوْلِه وقوَّتِه وعقلِه. النَّوعُ الثَّاني: حِفظُ اللهِ للعبدِ في دِينِه وإيمانِه، فيَحفَظُه في حَياتِه مِن الشُّبهاتِ المضلَّةِ، ومِن الشَّهَواتِ المحرَّمةِ، ويَحفَظُ عليه دِينَه عندَ موتِه، فيتوفَّاه على الإيمانِ، وعلى العكسِ من هذا؛ فمَن ضيَّع اللهَ ضيَّعه اللهُ، فضاع بينَ خلقِه، حتَّى يَدخُلَ عليه الضَّررُ والأذى ممَّن كان يَرْجو نفْعَه مِن أهلِه وغيرِهم.

4- "رُفِعَت الأقلامُ"، أي: كُتِبَت مَقاديرُ الخلائقِ جميعًا، ورُفِع القلمُ، فلا زِيادةَ ولا نُقْصانَ في كِتابَةِ الأحْكام.

5- "وجَفَّتِ الصُّحفُ"، أي: جفَّت الصُّحفُ بما كتَبَته الأقلامُ فيها مِن مَقاديرِ الخلائقِ، فلا تَبْديلَ ولا تَغْييرَ، فكلُّ شيءٍ قد كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ؛ فعبَّر عن سبْقِ القضاءِ والقدَرِ برَفْعِ القلَمِ، وجَفافِ الصَّحيفةِ.



" مَنْ أَصابَتْهُ فَاقَـةٌ [1] فَأنزلَهـا بِالنـاسِ [2]، لمْ تُسَـدَّ فَاقَتُـهُ، ومَنْ أنزلَها باللهِ [3]، أَوْشَكَ اللهُ لهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَـوْتٍ عَاجِـلٍ، أَوْ غِنًَى عَاجِلٍ ". (الصحيحة: 2787) (صحيح أبي داود: 1645)

السلف الصالح وحسن التوكل على الله:

قال ابن القيم-رحمه الله-عن الصحابة:" هُمْ أُولُو التَّوَكُّلِ حَقًّا وَأَكْمَلُ الْمُتَوَكِّلِينَ بَعْدَهُمْ هُوَ مَن اشْتَمَّ رَائِحَةَ تَوَكُّلِهِمْ مِنْ مَسِيرَةٍ بَعِيدَةٍ، أَوْ لَحِقَ أَثَرًا مِنْ غُبَارِهِمْ. فَحَالُ النَّبِيِّ ﷺ وَحَالُ أَصْحَابِهِ مَحَكُّ الْأَحْـوَالِ وَمِيزَانُهَـا. بِهَـا يُعْلَمُ صَـحِيحُهَا مِنْ سَـقِيمِهَا. فَـإِنَّ هِمَمَهُمْ كَـانَتْ فِي التَّوَكُّلِ أَعْلَى مِنْ هِمَمِ مَنْ بَعْدَهُمْ. فَإِنَّ تَوَكُّلَهُمْ كَـانَ فِي فَتْحِ بَصَـائِرِ الْقُلُـوبِ. وَأَنْ يُعْبَـدَ اللَّهُ فِي جَمِيـعِ الْبِلَادِ، وَأَنْ يُوَحِّدَهُ جَمِيعُ الْعِبَادِ، وَأَنْ تُشْرِقَ شُمُوسُ الدِّينِ الْحَقِّ عَلَى قُلُـوبِ الْعِبَادِ، فَمَلَئُوا بِذَلِكَ التَّوَكُّلِ الْقُلُوبَ هُدًى وَإِيمَانًا. وَفَتَحُوا بِلَادَ الْكُفْرِ وَجَعَلُوهَـا دَارَ إِيمَانٍ. وَهَبَّتْ رِيَاحُ رَوْحِ نَسَمَاتِ التَّوَكُّلِ عَلَى قُلُوبِ أَتْبَاعِهِمْ فَمَلَأَتْهَا يَقِينًا وَإِيمَانًـا. فَكَـانَتْ هِمَمُ الصَّـحَابَةِ - رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَعْلَى وَأَجَـلَّ مِنْ أَنْ يَصْرِفَ أَحَدُهُمْ قُوَّةَ تَوَكُّلِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ فِي شَيْءٍ يَحْصُـلُ بِـأَدْنَى حِيلَـةٍ وَسَـعْيٍ، فَيَجْعَلُـهُ نُصْـبَ عَيْنَيْـهِ، وَيَحْمِـلُ عَلَيْـهِ قُـوَى تَوَكُّلِـهِ". **(مـدارج السالكين: 2/135)**

وانظر إلى أبي بكر الصديق ﷺ ويقينه العالي وتوكله العجيب.

أخرج أبـو داود والترمـذي عن عمـر بن الخطـاب ﷺ قـال: أمرَنـا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا أن نتصدَّقَ، فوافـقَ ذلِـكَ مـالًا عنـدي، فقلتُ: اليومَ أسبِقُ أبا بَكْرٍ إن سبقتُهُ يومًا، فَجِئْتُ بنصفِ مـالي، فقـالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:" ما أبقيتَ لأَهْلِـكَ؟، قلتُ: مثلَـهُ، قـالَ: وأتى أبـو بَكْرٍ ﷺ بكُلِّ ما عندَهُ، فقـالَ لَـهُ رسـولُ اللَّهِ ﷺ: مـا أبقَيتَ لأَهْلِـكَ؟ قالَ: أبقَيتُ لَهُمُ اللَّهَ ورسولَهُ، قلتُ: لا أسابقُكَ إلى شـيءٍ أبـدًا ". (حسنه الألباني في المشكاة:6921)

قَـالَ أحـدُ الْحُكَمَـاءِ:" التَّوَكُّلُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَـاتٍ: أُولَاهَـا تَـرْكُ الشِّـكَايَةِ، وَالثَّانِيَةُ الرِّضَا، وَالثَّالِثَةُ الْمَحَبَّةُ، فَتَرْكُ الشِّكَايَةِ دَرَجَةُ الصَّبْرِ، وَالرِّضَا سُـكُونُ الْقَلْبِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَهِيَ أَرْفَـعُ مِنَ الْأُولَى، وَالْمَحَبَّةُ أَنْ يَكُـونَ حُبُّهُ لِمَـا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِ، فَالْأُولَى لِلزَّاهِدِينَ، وَالثَّانِيَـةُ لِلصَّـادِقِينَ، وَالثَّالِثَـةُ لِلْمُرْسَـلِينَ ". **(التوكل لابن أبي الدنيا:84)**

قال ابن القيم-رحمه الله-:" التوكل من أقوى الأسباب التي يـدفع بهـا العبد مالا يطيـق من أذى الخلـق وظلمهم وعـدوانهم ". **(التفسير القيم ص: 587)**

---

[1]- فاقة: الحاجة والفقر.

[2]- فأنزلها بالناس: طلب إزالتها بطريق الشكوى والسؤال.

[3]- أنزلها بالله: أي طلب إزالتها من الله بالدعاء والتوكل وحسن الظن.

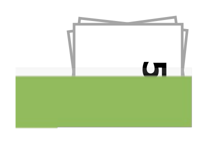
وقال شقيق البلخي-رحمه الله-:" لكل واحد مقام؛ فمتوكل على ماله، ومتوكل على نفسه، ومتوكل على لسانه، ومتوكل على سيفه، ومتوكل على سلطته، ومتوكل على الله عز وجل، فأما المتوكل على الله عز وجل فقد وجد الراحة. **قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: 58) (الجامع لشعب الإيمان:2/181)**

وقال ابن القيم والفيروز أبادي-رحمهما الله-:" التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فان الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة ". **(بصائر التمييز:2/2315) (مدارج السالكين 2/113)**

وكَانَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ-رحمه الله- يسأل ربه فيَقُولُ:" أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعَالِمِينَ بِكَ، وَعِلْمَ الْخَائِفِينَ لَكَ، وَتَوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ، وَيَقِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَإِنَابَةَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ، وَإِخْبَاتَ الْمُنِيبِينَ إِلَيْكَ، وَصَبْرَ الشَّاكِرِينَ لَكَ، وَشُكْرَ الصَّابِرِينَ لَكَ، وَإِلْحَاقًا بِالْأَحْيَاءِ الْمَرْزُوقِينَ عِنْدَكَ". **(التوكل لابن أبي الدنيا:69)**

عن عامر بن قيس قال: ثلاث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن عن جميع الخلائق: أولهن: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس:107) والثانية: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر:2) والثالثة: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود:6) (الجامع لشعب الإيمان:2/138)

قال أبو قدامة الرملي-رحمه الله-:" قرأ رجل هذه الآية: **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان:58)** فَأَقْبَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ الْخَوَّاصِ، فَقَالَ: يَا أَبَا قُدَامَةَ، مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ. ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ كَيْفَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان:58)**، فَأَعْلَمَكَ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ، وَأَنَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ يَمُوتُونَ، ثُمَّ أَمَرَكَ بِعِبَادَتِهِ، فَقَالَ: **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (الفرقان:58)**، ثُمَّ أَخْبَرَكَ بِأَنَّهُ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَبَا قُدَامَةَ، لَوْ عَامَلَ عَبْدٌ اللَّهَ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ، وَصِدْقِ النِّيَّةِ لَهُ بِطَاعَتِهِ؛ لَاحْتَاجَتْ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ فَمَنْ دُونَهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا مُحْتَاجًا، وَمَوْئِلُهُ وَمَلْجَؤُهُ إِلَى الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ؟. **(التوكل لابن أبي الدنيا:73)**







أخرج البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية أنه قيل لحاتم الأصم: بما حققت التوكل على الله، قال بأربعة أشياء: علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت بأن عملي لا يتقنه غيري فاشتغلت به، وعلمت بأن الموت يأتيني بغته فأنا أبادره، وعلمت بأن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية ".

وروى أن حاتم الأصم-رحمه الله- قال لأولاده: إني أريد الحجَّ، فبكوا وقالوا إلى من تكلنا؟! وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين فقالت: دعوه يذهب فليس برازق، فخرج فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهمَّ لا تخجلني بينهم. فمرَّ أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب، فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها صرة من ذهب. وقال لأصحابه: من أحبني فليصنع مثلما صنعت، فرمى العسكر ما معهم من المال في هذا الإناء. فجعلت بنت حاتم تبكي، فقالت أمها: ما يبكيك؟ وقد وسَّع الله علينا، فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!

ويُحكى أن الإمام البغوي-رحمه الله- عندما أراد طبع تفسيره المشهور سمع برجل من بلاد الهند، توسم فيه أن يساعده على ذلك، فاستأجر سفينة ليرحل إليه وبينما هو يسير بمحاذة شاطئ دجلة إذ رأى رجلًا يمشي، فطلب من قائد السفينة أن يحمله معه ففعل، فسأله الرجل من أنت؟ قال: البغوي، قال: المفسر؟ قال: نعم. فسأله عن وجهته، فأجابه. فقال له الرجل: ماذا قلت في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(**سورة الفاتحة:5**). فقال الإمام: قلت فيها كذا وكذا، ثم انتبه! فالسؤال لم يكن على عواهنه، بل لتوضيح أن سفر الإمام وارتحاله لهذا الغرض لا يتناسب مع علمه وتوكله ومعرفته بهذه الآية، فطلب الإمام من قائد السفينة أن يرجع. ويذكرون أنه ما مكث إلا أياما حتى جاءه رسول الرجل الغني يقول له إن فلانا قد سمع بكتابك وهو يريد طبعه فأخذه ووزنه ذهبًا وأعطى الذهب للإمام البغوي وطبع الكتاب.

آية واحدة اكتفى بها هؤلاء الأفاضل وهي تكفينا بإذن الله.

ففي التوكل راحة البال، واستقرار في الحال، ودفع كيد الأشرار وهو من أقوى الأسباب لدفع أذى الخلق وشر الأشرار، وبالتوكل تستغني النفس عما في أيدي الناس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في" الفتاوي: 10/57": " وما رجا أحدٌ مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه ".

فمن فوض أمره إلى مولاه حاز مناه فألق كنفك بين يدي البارئ سبحانه وتعالى وعلق رجاءك به، وسلم الأمر له واقطع العلائق عن الخلائق وتعلق بالخالق، فلا ترج إلا إياه ولا تتوكل إلا عليه.

وبعد...
فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.
وأسأل الله– تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها...... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:
وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا
فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحتويات